الانسان الشراع

★



اذ نرسلها دعوة الى القوة ، دعوة الى الاعتداد بالذات ، دعوة الى الكبرياء العاقلة المبدعة . فانما نقصد الى الكشف عن حقيقة الشخصية ، لهذا الكائن العربي الذي اطل بفيضها يوماً ، فاشاع الروح في ركام الرمم . فكان انْ استوى لها معنى تضج الحياة في عروقه ، مكان معنى بات كالتثاؤب في عرف الوجود وكتزايل الشعلة المنطفئة في عرف الحياة .

ذلك الكائن الذي تنزّل وانساب في اليبس الهامد ، انسياب العصارة التي تمد بالاهتزازة الحية الميداء ، وتمشي بالري والرواء . . ذلك الكائن الذي تمددت فيه الحياة ، فتمدد حيناً في الكل البشري بمعناه .

نحن انما نعنى بهذا الكائن عناية الايمان به ، وعناية الايمان منه بذاته ، الذات التي لا وجود وراء وجودها ، ولا حقيقة فوق حقيقتها ، ولا منطق الا منطقها . . في سبيل شريعة هذا الايمان ، الايمان بالذات ، نطوي وننشر ، ونجهد ونجاهد .

ففي عقيدتنا ان الطبيعة الكونية هامدة بائرة ، وحقيقة المعنى فيها هذا الانسان ، الذي ينزل منها منزلة عبقريتها المولدة المعجزة ، وصيرورتها المطورة ابداً المجددة دائماً . . انه في الكون عقل الكون ، وموئل الغاية الفنية فيه .

هذا الانسان الذي كلما شد الطبيعة اليه ومسها بفيض طبيعته ، اخصبت واستشرفت مجنحة ، تلقاء تحلق اعلى في وعي الكون . . وكلما شدته اليها ، في وجوده الفاعل في وجودها المنفعل ، وذلك هو بوار الطبيعتين ، وانطماس معالم الذات في ضحل المادة المترسبة . فيتطامن مضمحلاً في اقدار الكون ، تسير به سير الطيش في خبط العشواء .

بينما هو – وقد وعى ذاته – يمضي صانعاً لهذه الطبيعة اقدارها ، فيهدف بها نحو وجود ارفع ، نحو وجوده نفسه ، الذي هو كل الفن في كل الادراك .

والانسان الحديث الذي تفتق جوهره عن « الملكة الاستشفافية » لاستشفاف اغوار النواميس ، فاخضعها لاقدار ذاته ، بداءة الظفر باقتعاد وجود ، يضع فيه الانسان كثيراً من ادراكه ، في كبير من فنه .

لهذا نحن نبشر « بالكينونية » اطلاق معنى الذات في معنى الوجود ، ونحارب « الكونية » التي هي انكماش وتحجر جهدنا ، في اي مظهر تبدت . في المعنويات الصوفية ، في المذاهب الاجتماعية ، في الاتجاهات التربوية .

الانسان في المظهر الكوني « انسانٌ شراع » ، يستمد كما يستمد المركب الشراعي نفحة الهبة المارة اتفاقاً ، فوجوده مضمحل ، ومعناه عديم ، والاتكالية تلفه وتطيف عليه من انحائه . . بينما هو اي المركب في مظهر الكينونية « مظهر البخار » ، لا ينتظر القدر كي يسوقه ، بل هو يصطنعه ، وليس يعدم وجوده ، بل هو يفرضه في تحد وكبرياء عاقلة . . .

والعربي « كينوني » بطبيعته ، ذاتي حتى لتضيق المادة بذاتيته :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام .

فنحن ايماناً بشخصيته الكبيرة ، نهيب به الى الايمان . . وكما تتحيز في الفرد شخصية الجماعة ، فيعبر عنها . تتحيز في شخصية الجماعة روح « الكل الانساني » ، فتعبر عنه . . ولم يكن بعيداً اليوم الذي حمل فيه العربي الى الكل الانساني رسالة ذاته ، وليست رجعة خصائص الذات ، بعيداً في منطق الصيرورة الدائرة ، في خطة تدفقها وتدفعها . . .

نحن نؤمن بالانسان ، ولكنْ طبيعي اننا لن نفهمه الا من كوة ذاتنا ، ولقد اشرفت هذه الكوة حيناً ، فكانت ينبوعاً للاشراق . . فنحن لذلك ، اعمق بها ايماناً .

تلك « تجربة امتحانية » ، لم تزل في وعي التاريخ ، آية ادلال . . .

عبدالله العلايلي

الفكرة القومية في مراحل تطورها الحديث

☆

رغم « التحيز الموضوعي » للقومية العربية ، ولمفهومها الحقيقي الذي غدا بمكان من الوضوح، لم يزل في الناس من تريبه فيتخوفها، ومن يريدها على مفاهيم ليست لها فيشوه وجه حقيقتها ، ويزيد في معنى التخوف ومكان التفزع .

ونحن من هؤلاء وهؤلاء ، بين من يجهل وآخر لا يعي . ولتبيان الحقيقة نضع تحت نظر الدارسين خطاً بيانياً ، يرسم لنا المسير التطوري لها، الذي جازت خلاله من شيء كالاحاسيس المنبهمة، الى شيء كالافكار المدخول فيها ، الى فكرة واعية متمرسة ، انبعثت فيها الطبيعة العربية بكل خصائصها ، وانحدرت الى الواقع العربي انحدار الحياة .

ونحن في هذا البحث ، انما نعنى بتبيان الفكرة القومية في مراحل تطورها الحديث فقط ، اي في هذه الحقبة الداخلة في حدود هبة الانبعاث الوليدة .

والا فالقومية العربية وفكرتها ، يتصل الاحساس بهما ابعد كثيراً . بل على ضوء الفكرة القومية واستحواذها ، ذهب الباحثون في فلسفة الحضارات وبالاحرى فلسفة التاريخ ، يفسرون بها كل حركات التمجد العربي واسرار المغامرة الكبرى . فقد طبعت القومية كل وجودهم السياسي وكانت ظاهرة شديدة الوضوح والبروز ، حتى لقد بات الدين – ابان دولتهم – اداة مروجة للقومية ، دون العكس المضمحل الواهم .

«بيقظة القومية» يفسر هؤلاء ، التخلقات الكبرى والامتدادات الجارفة ، التي من شأنها ان تطبع التاريخ وتعطيه الوانه الجديدة .

فالامتداد اليوناني فالروماني فالعربي ، كانت كلها تعبيراً عن طبيعة قومية وعت ذاتها ، وانطلقت متدفقة تطبع الوجود بوجودها .. وكان الامتداد العربي – دون ريب – ابرز هذه الامتدادات شخصية وتعبيراً عن الروح القومي الخاص ، كما كان انفذها فعالية ، فقد امتد بعيداً ثم لم ينكفيء حسيراً .

والحقيقة التي تتبدى على البحث المجرد الدقيق ، ان الدين لم يكن الا «تعبير اليقظة» في احساس الطبيعة العربية، التي شعرت بالمخاض .. فلا بدع اذا اشتقت عبارتها وانتحتت جملها ومقاطعها المعبرة ، من اعمق المسيرات المعنوية للكائن الحي يومذاك . فجاء الدين تعبيراً قومياً متسقاً مع الاعتبارات القصوى، التي كانت تهيمن وتسيطر وتدفع صعداً في خط الاتجاه .. كما سبق لهذه الطبيعة انها استخدمت اساليب اخرى من التعبير عن الذات والخصائص الثابتة، كالفروسية حيناً وتوسيع المجال الحيوي حيناً آخر .

ففي مفهومنا ان الدين بازاء القومية العربية ، لم يكن الا « كحادث الاثر » ، اما « حادث السبب » فليس الا القومية التي شعت وشاعت فيها يقظة الخصائص .. ولهذا الذي نقرره معنى واضح ، ليس يسمح بريب او تخوف ، كما ليس يسمح بتزيد او افتيات .

وهذا ما يجعلنا مدفوعين بدافع الضرورة الى الكلام على اسباب التنبه العربي الجديد وتاريخه ، مع الملاحظة بانه لم يكن يفرق قبل الحرب العامة الماضية سنة ١٩١٤ بين القضية الاسلامية والقضية العربية ، الا على وجه طفيف ، هذا الفرق الذي اتخذ درجة الوضوح التام بعد الحرب نفسها بامد قصير .. واسبابه ترجع الى :

١ – الاستعمار الاوربي المشفوع بالتبشير الديني : فان الاستعمار اولاً كحركة عبث بالحرية ، وثانياً كحركة تبشير بدين وتحد لدين آخر . اثار المشاعر واسعرها وملأ النفوس رغبة حادة بشيء جديد ، وبتحدب الاستعمار على بلاد العرب في مصر والجزائر تحدد

هذا الشيء الجديد نوعاً من التحديد ، فاصبح « اسلامياً عربياً » بعد ان كان « اسلامياً » فحسب .

وبسبب وجود الدولة الاسلامية المركزية ، المماثلة في الدولة التركية ، صار هذا الشيء الجديد « اسلامياً عربياً يدور على قطبها » .

وبذلك تقوت معنوية الدولة التركية من حيث اراد الغربيون اضعافها ، ولقد شعر بهذا ، السلطان عبد الحميد الثاني قبل ارتقاء العرش ، فعقد النية على مشروح منح العرب حكماً لا مركزياً[1] وتحقيق رغباتهم القصوى وجعل اتصالهم بدولة الخلافة رمزياً . ولكن دس امثال مراد بك الداغستاني مع بعض المقامات العالية ، واثارة مخاوفه من خلافة عربية جعله يعدل في حذر .

٢ — حركات البلقان الاستقلالية وعجز الدولة التركية عن اخمادها ، جعل العرب يفكرون في مستقبلهم حيث لم تعد الدولة العثمانية ضماناً كافياً له .

ورؤية امير عربي ، عجزت الدولة عن دفع الخطر عن بلاده وهو « الامير عبد القادر الجزائري» بينهم ، قلل ثقتهم بالدولة وجسم خطر المستقبل . فرغبوا بان يحفظوا قواهم في حدود بلادهم[2] ، وفكروا «باللامركزية» وصاغوا فكرتها صوغاً محكماً ، بشكل نظرية يبشرون بها في الوسط العربي وبشكل اقتراح للدولة .

وبذلك اصبح هذا الشيء الجديد « اسلامياً عربياً يدور على قطب نفسه ، في صلة رمزية بالدولة العثمانية » .

٣ — رغبة الشباب التركي بالانقلاب وازلة هيكل الحكم القديم الذي بدا متداعياً ، جعلت آمال العرب تقوى في انهم لا بد فائزون بشيء في التشكيلات الجديدة ، فايدوا جمعية الاتحاد والترقي وساهموا في الانقلاب بقوتهم .

ولكن انكشف الليل عن انتكاس فظيع من جانب الترك ، جعل العرب يلمسون خطة تآمر فظيعة سوف تنتهي بتحطيم كيانهم واذابة طبيعتهم ، فانطلقوا يبشرون بالانفصال ولو ادى الى العنف .

اضف الى هذا ، الشعور بالضغط المقصود الذي كان كالهول المنشور ، وصراع امام اليمن في قسوة وبعادة عربية تقريباً ، فكان للاحتكاك بين العرب في الصراع ما قذف في افئدتهم وعياً ، جعل هذا الشيء الجدبد « اسلامياً عربياً فقط » .

٤ — اتصال العرب الثقافي باوربا ، واعتناقهم للنزعة القومية الجديدة وتشبعهم بفلسفتها ، جعلهم يزودون الحركة بسلاح جديد انشط الاقليات الدينية الاخرى[3] للمساهمة في الحركة التحريرية ، فاصبح هذا الشيء الجديد « عربياً فقط[4] ، يدور على قطب قومي ، في صلة رمزية بالاسلام » .

٥ — اتصال العرب السياسي باوربا وتحديهم بالانتداب الذي كان خطة خسف ، ادى الى يقظة الطبيعة ورجعة الروح في عنفوان لاهب وعزمة غلابة ، فغدا ذلك الشيء الجديد « عربياً خالصاً ، يدور على قطب القومية العربية فقط حسب » . وعلى هذا تركز الفكر العربي واستوت ارادته .

ويظهر من هذا التسلسل ، كيف دار التنبه العربي على اشكال شتى ومر في ادوار نشوئية كاملة ، دخلها ما يدخل الكائن الحي من تغايرات وانفصالات للزوائد ، حتى استقر على اقوم الاوضاع .

وما بقي في فكر البعض من زوائد ، فهي كالاعضاء الاثرية انطمست وظيفتها واضحت غير عاملة ، والطب الاجتماعي يعمل كما يعمل الطب العضوي اذا ما اهتاجت على بترها . . فان ما تركز عليه الفكر العربي من اعتداد بالقومية العربية فقط ، هو وحدة المركبات في ابسط مظاهرها الطبيعية .

فكل اتجاه يأخذ بهذه الوحدة الى التنقص او التزيد ، معناه التآمر بقصد تحطيم الوحدة الطبيعية البسيطة ، للكائن الاجتماعي العربي .

---

(١) راجع مذكرات السلطان عبد الحميد في منفاه بقلم سكرتيره وعني بترجمتها الاستاذ فؤاد الميداني .

(٢) خصوصاً اثناء الحرب الطرابلسية ، فدعوا الى عمران كل قطر واعداده للدفاع عن نفسه حين الحاجة . وتألفت الاحزاب العربية كحزب اللامركزية ومركزه القاهرة برئاسة رفيق بك العظم ، وجمعية الاصلاح البيروتية والمنتدى الادبي ، وجمعية البصرة الاصلاحية برئاسة طالب النقيب ، وجمعيات اخرى ملكية وعسكرية وقد اشتركت الصحف بدعايتها وكان لكلها برامج واهداف .

(٣) يشهد لهذا المؤتمر العربي الاول الذي انعقد في باريس بتاريخ ٤ نيسان سنة ١٩١٣ راجع ص ٦٩ من كتاب ثورة العرب مقدماتها ونتائجها و كتاب اعمال المؤتمر العربي الاول في باريس .

(٤) راجع المناقشات الحادة التي كانت تدور بين طائفة من الصحف على رأسها جريدة المفيد التي تبشر بمبدأ « انا عربي قبل ان اكون مسلماً » وبين طائفة اخرى على رأسها جريدة الرأي العام التي تبشر بمبدأ « انا مسلم قبل ان اكون عربياً » ودخول طائفة من العراقيين في النزاع كالسيد حبيب العبيدي النائب العراقي راجع كتابه « النواة في حقول الحياة » .

هذه الوحدة التي لا يكون المركبات العضوية الاجتماعية بدونها كيان طبيعي او حياة حقيقية ، سوى تشنجات اضطرابية وحركات تخطيطية زايلتها الطاقة واخذت تتداعى بها الى همود . .

قلنا لم يزل في الناس من يستريب ، ولم يزل فيهم من لا يعي الحقيقة القومية حق الوعي . ووجود هؤلاء وهؤلاء يلمسنا مقدار ضرورة البيان والبيان المبسط ، ويلمسنا فوق هذا ضرورة الخروج بالصرح الفلسفي للقومية العربية ، وكيف هي تتفرع في التعاليم والمناهج والاوضاع .

وليس يحول دون هذا ما نشهد اليوم من تخبط عنيف في الفكرة والاوضاع بمجتمع العرب ، فهذا الاصطراع من وجهة نظرنا ظاهرة خيرة سوف تنتهي بتركيز طبيعي نتيجة للانتخاب الطبيعي المحض ، وعلله في الفكر .

وهو اي الاصطراع من وجه آخر يمد المراقبين بالشواهد الواقعية التي تتصل اتصالاً مباشراً بمجتمعهم ، وهي تسمح لهم بتكوين فلسفة صادرة من روح المميزات الخاصة بالجماعة في الموضع ومدى تأثير قوة الجماعة المعنوية بالنسبة الى قوة الافراد كذلك فان الفردية والجماعية في صراع وقد يكون لاحداهما الغلبة الطبيعية في عصر وموضع ، ويتبع هذه الغلبة قيام فلسفة خاص ونظام خاص فلا يصلح الاقتباس .

كما يجب ان يتمثل في فلسفتنا القومية مدى استعداد واقعنا من شتى جوانبه المادية والروحية ، هذه الجوانب التي تظل خفية ثم لا يكشف عنها الا نشاط الصراع الفكري وان اخذ شكل التبلبل والتخبط .

فان مختلف الافكار التي اصطنعها الكثيرون في المحيط العربي للتعبير عن امانيهم ، كشفت عن مدى الاتفاق والاختلاف بين الجماعات فيه ، هذا الاختلاف الذي يكون من الخير ان يحدث قبل اقامة الصرح القومي الاكمل على فكرة مصطنعة ، من ان يحدث بعد ذلك . فان الاختلاف بعد اصطناع الفكرة يكون ذبذبة عليها تنتهي بالتهديم ، بينما هو اذا حدث قبل هذا الدور ، فانه يفسح المجال لتركيز فكرة تكفل وجهة جميع العناصر والجماعات بمرونتها ، وتعد الوسط للاستقرار وتشجع الجميع على المساهمة في العمل الانشائي . بعد ان تكون استلت ما قد يلابس الجماعات المشتركة في الوطن من تخوف حل محله الاطمئنان العميق على الاماني .

وهذا تمحيص بلا ريب يضمن الرغبة المشتركة في عملية الخلق والبناء ، ويضمن شيئاً آخر ربما كان اهم من الوجهة الروحية ، وهو الحب القومي الذي اذا صقل النفوس نفى من بينها غائلة التآمر .

فلا جرم ان نعنى بان تكون فلسفتنا القومية ونظامنا القومي ضماناً صحيحاً للاماني ، والا فهي لا تقدم لنا شيئاً سائغاً يندي يابس عروقنا للتعاون في العمل ، كما لا تحقق طلبة بتنا نتمناها ونحن الى طلائعها .

فان قيمة الفلسفة القومية ليست في انها تملأ فراغ الفكر وتحفل بالآراء ، بل بمقدار صلاحيتها واتصالها بالكائن الحي في الزمان والمكان ، وبالكائن الاجتماعي في البيئة والمحيط . كالدواء الذي لا تكون قيمته في انه عقاقير مركبة فقط ، بل قيمته في انه عقاقير صالحة لنوع المرض وصفة الجسد المريض .

والفلسفة القومية دواء وغذاء ، ونجاحها بمقدار ما تكون غذاء وضع وضع الدواء ، فلا يعرض بها جسم الاجتماع للاعراض المرضية من تخمة او نقص في المواد .

وينبغي ان لا تصطنع اصطناعاً عقلياً خالصاً ، فدأب العقل انه طلعة فليست له صفة تجانس الا في حد محدود ان في الافراد او الجماعات . فقلما يمكن جمع الافراد على صفة عقلية واحدة ، حتى التربية فقد ظهر اخفاقها حينما اجتهدت بفرض طوابع فكرية موحدة . ويدخل في حسباننا ان المدنية الحديثة المضطربة كانت كذلك لانها مدنية العقل ، وقد كانت اقصر عمراً واقل ثباتاً والوانها اكثر اضمحلالا ، لانها جعلت العقل قاعدتها وهو دعامة قلقة قلما تتجانس وقلما تثبت على الزمن القصير . . ولكي تكون قاعدة راسخة يجب ان يتوفر فيها امور ثلاثة :

١ – اصطناعها اصطناعاً ايمانياً ، اي تستند الى القلب وتتصل بالعقل وليس العكس . فان كل ما يستقر في القلب لا بد ان يصبغ العقل ويؤثر فيه ، واما العكس ففي النادر ان تكون له هذه النتيجة .

ان نجاح الفكرة القومية على مقدار ما نستطيع ان نجعلها ديانة . . .

٢ – مرونتها على معنى ان لا تصطدم بمد العقل في نشوئه بل تتسع له ، وبذلك لا تتحجر القاعدة الشعورية فيها وتكون حافظة لتطورها المقدر الموزون .

٣ – عمقها لتكون فيها القدرة على الاستهواء .

ذلك اخذ اذا حقق البناؤون القوميون غايته ووفقوا اليه ، يكونون قد حققوا اكبر قسط من رسالتهم .

من اغاني الانتظار

الى الوجه الحزين ،

الذي سمعت في ظلاله اوتاراً تعزف اغنية الانتظار . .

والى الذين ضاعت ايامهم في انتظار الغد المجهول ! !

*

انتظرني هنا مع الليل . . اني   انا في صـدرك المحطم سر !
هكذا قالت الشقية ، والليـل   على صدرهـا انين وشعر
واهتزاز كأنه قُبل العشاق ،   لم يحمهـا حجاب وستر
ولهـا نظرة ، كأن بقـايا   من وداع عـلى الجفون تمر
نعمة ، وانتعاشة ، . . وهذا الشيء   الذي قيل عنه للنـاس : سحر !
وابتهال كأنه غربة الطـير ،   لها في مجاهل البيد سير
ولهـا رعشة كما انتفضت كأس   بكفي . . فكلها لي سكر
ولها حيرة تعلمت منهـا   كيف تهوي على النبيين تمرو !
ولها حين أقبلت ثم عادت   ندم الوحي : حين يدنو يفر
انتظرني هنا . . وغابت كحلم   صده عن خطاه للروح فجر . .
وانا جـاثم اقلب كفي –   كما قلب المقـادير دهر
انتظرني هنا . . ومر زمان   وانا في ترقبي مستمر
انتظرت الصباح . . حتى اتاني   وبه كالظـلام سهد وفكر
وانتظرت الضحى . . فاقبل يرتاع   على ساعديه عشب ونهر
وانتظرت الاصيل . . حتى دنا مني ،   وجنبـاه للصبابات وكر
وانتظرت المغيب . وهو غريب   اهله اورثوه ثكلا ، ومروا !
خلفوه ، فـلا الصبـاح بمأوا –   ه ، ولا الليل . آه ضاع منه المقر !
كل يوم جنائز النور تسعى   وهو من خلفها وجوم وصبر
لاحدٍ يدفن الحياة بكفين ،   همـا ظلمة ترامت وفجر
تشهق الريح حوله فهي في الافق   بكاء من عالم الغيب مر
وهو نوح الرماد قيض حواشيه   سكون ، ومس جنبيه جمر !

طال مثلي انتظاره ، فكلانا … في جحيم الهدوء القاه امر ..

ولولي يا رياح ! انت خصم … ماله اينما توجهت بر

أنت مثلي ، تلفتٌ وانتظار … فوق اوتاره الخفية نبر

جمعتني بك الليالي ، كما يجمع … سر الهوى وبلواه صدر

انت قيثارة ، وقلبي عزيف … وكلانا رماه في القيد اسر !

كبلتك الآفاق تجرين فيها .. … لا مزار يأويك ، لا مستقر

تشتكين الاسار ، والجو ساه … ساهم عن اساك .. والكون وقر

أعولي يا رياح .. قيدك خلد … وبلاياك ليس منها مفر

وانا في القيود مثلك حيران .. … أخير سلاسلي ام شر ؟!

صلبتني على معاطفك ارزاء … رماني بها غرام وشعر

ومتاهات شاعر ضل .. … ما يدري ازهدٌ حياته ام كفر ؟!

حيروه ! فما جنبيه لو يدرون … شيء عذابه مستمر

جاء يفضي به .. ولو كنت تصغين … ، لادماك منه شوك وصخر

طوقت عمره غيوم هي الفن … الذي قيل عنه : خلد ، وسحر !

لم يجد صاحباً على الدرب .. … فانساب واياه ضلال وخسر

وحده في الطريق .. لا نور الا … من بقايا ما كان أهرق فجر

وحده والرفيق ناي .. ولو ساق … خطا راهب ، فأنت الدير !

ها هنا خيمت جراحي ! ووسوست … رياحي ! كأن حداء وقفر ..

ومددت الجناح ارتقب النو … ر وأشتاقه لعلي أفر !

ولعلي .. ومر حولي زمان … والدجى والرياح نوح وقبر

وانا والظلام منتظر مثلي … ، عبد يسليه في الغياهب حر ..

قمة من وساوس وارتعاش … انا فيها رغم المقادير نسر !

انتظرني هنا .. وطال انتظاري … وهي في اعيني التفات وذعر

وسؤال لكل شيء حواليّ … وومض لكل طيف يمر

وانتباه ، وغفلة ، وربيع … وخريف ، وشيب زهر ، وعطر

وجناح يهفو ، وآخر يهتاج … ، ومن بين ما يرفّان طير ..

وانا سبسب توهج منه … لخطاها ايكٌ وليد ، وزهر

وهي لا اقبلت ! ولا عاد منها … اشقاني بنظرة الكأس خمر !!

القاهرة … محمد حسن اسماعيل

امـــك .. دنيـــاك !

★

ايها الضارب في الحلكة ، المضطرب القدم في المنحدر الوعر ، اتثلك تخشى الزلق وترهب الوحشة . الا فليهدأ منك الروع . ما انت بالاعزل في حبوك المحفوف بالعثار وحوالك قلب صادق الجنان موقوف على مودتك ، هائم باستلالك من الكدرة ، يترسم خطوك بوجد المفتون ، ورجاوته ، كل رجاوته ، ان يكون دعامتك في مسيرك ، وسياجك في دنياك ليرد عنك الضيم ، ويدفع المحنة . هـذا قلب امك ، امك باعثتك الى النور على احتمال ومشقة ، وناشرة ايامك بامل المتشهي ومبغى الطموح . امك الباسمة لبسمتك وليست تدري ما يهيب بك الى البسمة ، والملتاعة للوعتك وهي تجهل حافزك الى الحرقة والاكداد !

*

ايها الباكي من خيبة ، المتوجع من ظلامة ، المهجور الا من الغدر ، أني لاتحسسك في حيرة . تريد الوقوع على الاخلاص فلا تهتدي اليه . وتبغي الافضاء بالنجوى الى من يشاطرك اللهفة فلا تجد ، كيفما ملت بباصرتيك ، غير نطاق من اعراض وتالم من شماتة ، هل ضاعت منك امك — وارحمتاه لامك ! . . . — امك الحادبة عليك في الرزيئة ، الهاوية الى جنبك في البؤس ، الشاربة من كأسك على رفعة وغضاضة ، الخالقة لك المعاذير في الضلالة ، امك الملحة في ان تكون فديتك في يوم الروع والدهمة ، والواهبة لك روحها في معرض بيع الارواح ؟

مسكين انت بلا ام . فلا العطف تلقى ، ولا الوفاء ، ولا السماح . فليس من يجود عليك بالبسمة الصافية ، ولا من يضمك الى صدره بريئاً من مأرب وهوى ، ولا من يرجو لك الهناءة دون ان تثور فيه شهوة المقاسمة !

*

امك درعك الصادقة الذود ، وانيسك الصحيح المخبر ، ونجيك الحريص على سرك ، وحبيبك غير الطامع في سوى رغدك وعزتك .

لا كانت ساعة تفقد فيها امك !

أتعرف من يريد لك الخير وان شقي ، والكرامة وان ذل ، والعمر وان فني ؟ . . من يؤثرك على نفسه ، وتطيب له التضحية كي تدرك النجح ، ويبذل في سبيلك ضياء عينيه ، وذوب مهجته ، ورهيف احساسه ؟ . يبذل ولا يرجو مكافأة ، ويشقى ولا يفكر في اجر ، ويجاهد ولا يبغي نتافة من شكر ، فتهزه لاجلك الصدمة ولا يشكو ، ويعاني السقم ليخلع عليك العافية ، ويسهر عليك الليل لئلا ينبو بك المضجع ، ويطغى ألمه على ألمك وانت في صرعة الداء ، ويود ان تكون حشاشته نعلاً لنعليك مخافة ان تزلق وتخدشك العثرة ؟

هو امك — امك العبد الطائع الساجد ابداً بين يديك ليجيب طلبتك وان عزت ، ويتوفر على خدمتك وان جلت ، راضياً منك بكل اثرة وعنت ، منحنياً امام تيهك ، فارشاً خديه لموطئ قدميك وليست ترتفع من حنجرته نأمة من تأفف ، ولا تدهمه فترة من احجام !

*

امك وحدها تكن لك الود الصادق والحب الطهور . ينزل بها اجحافك ولا تحاسبك في غبن . امك وحدها تحبك عاجزاً ، ومفلساً ، ومجرماً ، وشيخاً ، ومنبوذاً ، وشريداً ، ونضو اوصاب . فلا تتبرأ منك في بؤسك ، ولا تشمخ عليك في مذلتك !

امك — لا تستهن بامك ! . . . — امك دنياك ، فان فجعك بها زمنك فقد جار عليك وحرمك عكازاً تقضي دونه ايامك مقصوم الظهر !

انا ما بكت عيني ، وساورتني رهبة الطريق ، الا يوم استطال علي الدهر ، وامتدت الي كفه العاتية تسلبني امي !

كرم ملحم كرم

علامات الجمال

بقلم الآنسة روز غريب

يختلف الباحثون في تحديد الجمال اختلافاً غير قليل . لكننا نلاحظ من خلال اختلافاتهم خطة يكادون يتفقون على انتهاجها . ذلك انهم يقولون في تحديد الجمال بشيء . ويستدركونه بما يخالفه . نرى مثلاً هذا التحديد يتردد عند كثيرين منهم : « الجمال هو الوحدة مع التنويع » — فهم يقرون مبدأ الوحدة لكنهم يخافون اطلاق الحكم فيحترسون بما يخالفه حين يضيفون اليه التنويع . والتنويع يؤتى به في زعمهم دفعاً للاملال او منعاً للنغمة الواحدة الفاترة .

مثل هذا قول توفيق الحكيم في وصف الفن : « جمع اشياء متشابهة ، لا كل التشابه ، مختلفة ، لا كل الاختلاف » . ويجري العقاد على هذه الخطة حين يصف الجمال بأنه « الحرية » « لكنه ليس بالحرية التي لا يأزجها نظام ولا يحيط بهـا قانون » . « هو الحرية المنظومة او التي تظهر بـين قيود الضرورات » . حرية مع قيود ...

من وجوه الوحدة الانسجام . لكنه ، في رأي البـاحثين ، ليس الانسجام المطلق . ان في جمع الخطوط المتوازية جمالاً لما فيها من توافق ولكن — رغم هذا — يستحسن التنويع بأن تكون هذه الخطوط مختلفة الطول او ان يتخللها خطوط تدعى انتقالية اي شبيهة بها لا مثلها تماماً .

وارسطو ، منذ القدم ، زعم ان الفن تقليد (تقليد الطبيعة) . لكنه احترس بقوله : « ليس تقليداً صرفاً بل يجوز ان يكون افضل من الواقع » . وزعم « آلان » ان الفن سكون لكنه استدرك بقوله انه سكون حي وليس جموداً .

ومن هؤلاء النقاد من حددوا الجمال — لا بشكله الظاهر — بل بأثره في النفس ، تحديداً ذاتياً غير موضوعي ، فقالت احدى الباحثات الحديثات في الموضوع : « قد تختلف اشكال الجمـال واساليبه لكن له في النفس أثراً واحداً : نشاط هادىء او هدوء نشيط » . فجمعت بين نقيضين واحترست بالحكم الثـاني من اطلاق الحكم الاول .

ومن هذه الطبقة الثانية الفيلسوف الالماني كانت . وهو يرى تحديد الجمال بواسطة تأثيره في النفس ، منكراً « ان تكون هناك قاعدة محسوسة تحدد بواسطة المقاييس ما هو الجميل — فالجميل هو الذي يرضي الجميع من غير قاعدة » . لكنه يستدرك قوله في مكان آخر : « ان آثار العبقرية او الفن هي قواعد غير صادرة عن التقليد لكنها مقاييس حكم للغير » . هكذا يقول كانت بامكانية الحكم استناداً الى الآثار الفنية رغم انه ينكر وجود مقاييس للجمال .

لمَ هذا التناقض في القول ؟ ام هل انه في الحقيقة تنـاقض ؟ أليست ابحاث الجمال — كأبحاث الاخلاق وغيرهـا من المواضيع الفلسفية — رجراجة غير مستقرة ، عامة تقول بالمبدأ دون التفاصيل وترسل حكماً ثم تخاف من اطلاقه فتقيده بما يشبه عكسه ؟ مبدأ الرحمة عام في علم الاخلاق ، لكنه مقيد بما ينقضه تبعاً للظروف . ومثله مبدأ المحبة ، ومبدأ الحرية ، والتقشف والايثار على النفس والتواضع والانفة والطاعة ، جميعها قابلة التعديل بما ينقضهـا او يعاكسها .

ولكن — قد يتفق علماء النفس على مبادىء الاخلاق بصورة عامة — اما مبادىء الجمال فمن الصعب ان يتفقوا عليها وانما تحديداتهم لون من الوان الظن والتخمين . ذلك انهم يعترفون بشخصية الجمال الفني وبأن لكل فنان حق الابداع بل بأن الابـداع واجب وضرورة فأنى لهم ان يقيدوا الفن بحدود والفنان بقيود ؟ انهم بذلك يناقضون مبدأ حرية الفن . ومع هذا فهنا ايضاً يناقضون ذواتهم ويزعمون ان الفن حر وليس حراً وانه ذو قيود وليست بقيود وان للجمال مبادىء ولكن ليس من الضروري ان يتقيد بهذه المبادىء .

هنا نقطة المسير التي يجب ان نبدأ منها : هنـاك اصول وعلامات فارقة وحدود وميزات نلمحها او نلمسهـا في آثار الفن ومظاهر الجمال . لكن هذا لا يعني اننا نجد في كل جميل هذه الميزات عينها . كلا بل قد نجد بعضها وقد لا نجد هذا البعض . وقد نجد ميزات جديدة ، لا عهد لنا بمثلها ولم نعثر عليهـا بين مبادىء الجمال .

لان مصدري الجمال – الطبيعة والفنان – هما في خلق مستمر والعبقرية لا تفتأ تتجلى لنا في اشكال متجددة مستمرة التنوع وهذا التجديد هو قوام حياتها وسر وجودها ، سواء في ذلك عبقرية الطبيعة وعبقرية الفن .

ونحن في عرضنا لمبادىء الفن نستند الى ما لاحظه النقاد ذوو البصر النافذ في آثار العباقرة ونماذج الطبيعة من ميزات وعلامات تتردد متواترة في اشكال مختلفة او يظن انهـا تتردد في صور متشابهة او لا .

واولى هذه العلامات في الشيء الجميل صفة واسعـة المدلول مرنة التعبير متشعبة المعنى يضيفون اليها غالباً نقيضهـا فيقولون « وحدة مع تنويع » ولنشرح كلاً من هاتين اللفظتين بشيء من التفصيل .

الوحدة عند الفلاسفة صفة الكمال او اكمال الذات او وحدانيتها ، صفة الواحد الاكمل اي الله . واذا قالوا ان الجمال وحدة فذلك لان الوحدة صفة الله كما ان الجمال والكمال من صفاته . فالجمال مظهر الله على الارض والوحدة صفة الجمال والجمال هو الله .

ونحن – وان لم نفهم تماماً ما يعنيه الفلاسفة بهذه التعابير – نستطيع ان ندرك سعة مدلولاتها عندهم وسعة المعنى الذي ينسبونه الى الوحدة . اما الفنانون فليسوا اقل توسعاً في معنى الوحدة . انها عندهم جميع انواع الترابط والتوافق : توافق الاجزاء في اشكالها وهيئاتها وحركاتها واصواتها ومعانيها وهي ايضاً تناسب الاجزاء في ناحية حجومها ومسافاتها وهي توازن الاجزاء او تعادلهـا وتقابلها ويدخل فيها تكرار بعض الاجزاء على ابعاد متساوية ومن ذلك الترجيع ، ترجيع البداية في النهاية ، ترجيع القرار ، ترجيع النوتة الواحدة والعود المتواتر الى شيء بعينه كما نلاحظ في اكثر الآثار الفنية . والوحدة ايضاً تدرج الاجزاء وتطورهـا ، تدرج الخطوط والالوان والحجوم والاصوات والمعاني والمؤثرات .

اما توافق الاجزاء فهو في الموسيقى تلاؤم الاصوات وفي التصوير تلاؤم الالوان والخطوط وانسجامها مع الموضوع وفي الشعر تآلف المعنى واللفظ وتلاؤم الاصوات وائتلاف المعاني وحسن الجمع بينها ، فالالفاظ القوية للمعنى القوي ، والمعاني المتآلفة هي التي يستحضر بعضها بعضاً كالربيع يستحضر الخضرة وهي التي تتوافق بحيث لا يجتمع فيها القوي والضعيف والغث والسمين ، والمعاني المتضادة ايضاً تتآلف لانها تتداعى في الذهن فالسواد يستحضر البياض والسماء الارض والنور الظلام .

وتوافق الاجزاء في الطبيعة حيث تأتلف الالوان والاشكال في الحيوان والنبات ، فجسم المرأة تتآلف خطوطه لانها في مجموعها اميل الى الاستدارة والالتواء بعكس الرجل الذي تميل خطوط جسمه الى الاستقامة وتكوين الزوايا .

والتناسب هو اتباع قانون المناسبة في الحجوم والمسافات وهذا يعني تنويع المسافات بين الاجزاء وتنويع حجوم هذه الاجزاء بحيث تتناسب دون ان تتكرر هي نفسها بصورة مملة .

كان اساس التناسب البنائي عند اليونان استعمال المستطيل بدل المربع بنسبة ٢ الى ٣ في الجوانب . وقاعدة المستطيل اليوناني اصبحت فيما بعد قانون الهندسة في البناء والاثاث . والتناسب في الجسم الانساني هو تنوع المسافات والحجوم بين اجزائه بصورة يستحسنهـا النظر فشكل الرأس مثلا يكرر شكل الجسم المستطيل ولكن بصورة مصغرة فان زاد حجمه على المألوف كان ذلك عيباً وتشوهاً . وقد روعي مبدأ التناسب في الموشحات حيث تتنوع حجوم الاجزاء بتنوع الاوزان بخلاف القصيدة التي تتكرر فيها الاجزاء موحدة القياس .

والتوازن تعادل القوى وتقابل شيئين بحيث يتنازعان انتباه الناظر او السامع بمقدار واحد . التوازن هو الراحـة ، هو تجمع الاجزاء حول مركز وترتيبها بصورة تجعل احد الجانبين معادلاً للآخر في الجاذبية . نرى التوازن في الشعر حيث يتقابل الضرب والعروض وتتقابل بينها التفاعيل وتتعادل احياناً بصورة ممتعة ، وفي النثر حين تزدوج الجمل وهو مألوف عند العرب وقد شاع حتى الاسراف في بعض عصور اللغة ، والتوازن في التصوير حين يعادل المصور بين جزئي لوحته فلا يملأ جانباً ويترك مقابله فارغاً . والتوازن في الطبيعة يظهر في اوراق الشجر حـين تنقسم الورقة الى قسمين

يا كبريائي ...

★

عيناك عيناك . . نامت في جفونهما مفاتن ايقظت ليلي واعصابي !
مفاتن اتقيها وهي نائمة فلا احاول اذكيها باعجابي
اصد عنك بعين غير صادقة وبين جنبي قلب غير كذاب !
يا كبريائي . . لقد كلفتني خطرا فيه المنايا مطلات بأنياب
تمرد الليل ، لا اغفو به ابداً حتى ارى الفجر مقتولاً على بابي !!

القاهرة

كامل الشناوى

متعادلين كما يظهر في شكل الزهرة وشكل الشجرة وتكوين ساقها وفي جسم الانسان .

التوازن لازم في الطبيعة كما في الفن، لازم لراحة الشيء واستقرار وضعه وراحة الناظر اليه . لان الاخلال بالتوازن تقلقل واضطراب ولهذا نرى الباحث «آلان» يحدد الجمال بقوله انه الهدوء والانضباط حتى في مواقف العنف والهياج . ان اضطراب الاعصاب وعدم التوازن دليل الضعف والمرض . وهياج الاهواء العنيفة كالغضب والحسد والحقد والخوف والهوى المذيب ، كل هذه اعداء الجمال لانها تترك في الوجه والجسم علامات القلق واختلال التوازن وتشوه محاسنها . والجسم الجميل حقاً هو المتزن الحركات ، والرشاقة سهولة في الحركة اسسها التوازن واعتدال الشكل . والوجه الجميل هو الهادىء المنبسط الاسارير الذي تنعكس فيه نفس صافية متزنة لا تؤثر في هدوئها اعاصير الحياة .

لهذا يندر الجمال عند الشعوب الفطرية المتوحشة لاتصافها بانطلاق الغرائز ويكثر عند الشعوب العريقة بالتمدن الموصوفة بالانضباط ومن هنا كانت الثقافة احد مصادر الجمال .

ومن علامات الجمال والوحدة ، التطور او التدرج في الاجزاء من ضعيف الى أقوى ومن مؤثر الى اشد تأثيراً، وهو من انواع الترابط ونراه في التصوير حيث تتدرج الالوان قتوماً وصفاء وفي الموسيقى حين تتدرج الاصوات صعوداً وهبوطاً وفي النثر الممتاز بحسن الانتقال وفي الشعر والخطب والمسرحيات حيث تتدرج المؤثرات فتبدأ هادئة ثم تتعقد وتتأزم حتى تنحل بخاتمة قوية وهذا التدرج اساس كل تأليف وبناء فني .

وهنالك التكرار المتسق Rhythm ويكون بتكرار اشكال بعينها او حركات بعينها على أبعاد متساوية او منتظمة . واتساق الحركة شائع في الطبيعة نراه في حركة الامواج ونبضات القلب ودوران النجوم ونراه في الفن حين تتكرر الاجزاء متناسقة او متجمعة حول مركز او حين يتصل خط او يمتد بصورة متموجة . نرى الاتساق الزمني في الموسيقى والشعر والنثر الموسيقي حين تتكرر اصوات طويلة مترددة بين القصيرة ونبرات قوية بارزة بين اخرى خافتة . ففي بيت امرىء القيس : «قفانبك» الاتساق هو تكرر المقاطع الطويلة الممتدة، على أبعاد موزونة . والاتساق اساس الحركة في الفنون الشكلية يظهر في تماوج الخطوط والتفافها المنتظم وتكررها المتسق بشكل يريح النظر ويشير الى الحركة والحياة .

كل ما مر بنا يدخل في فروع الوحدة . ولا نخطىء اذا قلنا ان بين الانواع التي ذكرناها ما يعد في باب الوحدة والتنويع في آن واحد ، فالتنويع في التناسب حين تتكرر الاشكال بحجوم مختلفة — والتنويع في التوافق حين تتلاءم الاشكال والالوان والاجزاء دون ان تتماثل . والتنويع في التوازن حين يتقابل شيئان ويتعادلان من غير ان يتساويا . والتنويع في الحركة المتسقة حين تتكرر الخيوط متساوية في طولها او متدرجة ويفصل بينهاما يخالفها .

بقي مبدأ التقوية وهو ابراز احد الاجزاء اكثر من الاجزاء

الاخرى شرط اتفاقه او تلاؤمه مع المجموع وفي هذا تنويع على غير اخلال بمبدأ الوحدة . فالتقوية في اللوحة الفنية تجمع اجزاء ثانوية حول مركز رئيسي او بروز النور في مكان اكثر مما في الاخر . والتقوية في المسرحية تظهر في الابطال والاشخاص البارزين وفي الازمات او المواقف البارزة التي يتجمع فيها التأثير . كذلك في القصائد ، يحلق الشاعر في بعض الاجزاء ويواتيه الالهام فيأتي بالشعر الصافي . ولكل اثر فني مركز تتجمع فيه القوة ويلفت النظر ففي البناء وفي التطريز تتجمع الجاذبية حول المركز وفي الاطراف ، وبينهما فراغ يمثل فترة الراحة وذلك لان النظر اول ما يتجه الى المركز فيطيل الوقوف عليه ثم يرتاح قليلاً قبل ان يتجه الى الاطراف ولهذا كانت الزركشة المفرطة التي لا يتخللها فراغات مزعجة للنظر ضعيفة الفن . والتمركز او التقوية وسيلة راحة وتنويع بشرط ان لا نفرط في ابراز شيء على حساب غيره فيكون ذلك اخلالا في الوحدة ومدعاة للتفكك . فلو جمل البناء واجهة البناية من الرخام وأمعن في تجميلها وبني باقي الجدران من الكلس الخشن الخالي من اي زخرف فقد اساء الي الوحدة وخالف الذوق ، والامر نفسه يصدق على الشاعر الذي يبدع في مطلع القصيدة ويهبط في باقي ابياتها .

من انواع التقوية التضاد لان « الضد يظهر حسنه الضد » . وهو التضاد بين النور والظل في التصوير . وبين شخصيات روائية كما بين لورل وهاردي ، عطيل ودسدمونه ، فاوست ومرغريت . وبين لون الاساس والوان الموضوع في الصورة بأن يكون الاول زاهياً والثانية قاتمة او بالعكس .

ومبدأ التقوية كثير الشيوع عند المصورين الانطباعيين الذين يبالغون في ابراز الميزات الجوية في الطبيعة اي النور واللون ، بينما الحديثون منهم يبالغون في ابراز المعاني التي وراء الاشكال فيبعثون في الجوامد دلائل الحياة ويصورون الازهار ضاحكة ، باكية ، متألمة ، مرحة او مفكرة .

*

جميع علامات الجمال التي مرت بنا توجد في الطبيعة والفن معاً . لكن لجمال الفن خصائص تميزه عند الاستاطيقيين وترفعه فوق جمال الطبيعة . ذلك لان الفن انتخابي والطبيعة عمياء . وجمال الفن يمتاز بالطرافة ، والاغراب والابداع اصل من اصوله ، بينما جمال الطبيعة يتجلى في المخلوق السوي والاغراب فيه مستهجن . ان جمال الطبيعة جمال ساذج سهل غير معقد يذكرك بفتاة قروية تفيض نضارة وصحة اما جمال الفن ففيه سحر الغموض والتعقيد لما ينطوي تحته من شعائر وافكار هي عصارة الفكر الانساني وخلاصة الالهام وكلما زاد في الفن هذا العنصر الانساني – عنصر الفردية والايحاء – زاد اقترابه من الكمال الفني وتباعد ما بينه وبين الطبيعة .

واخيراً ان ما يظهر لنا تناقضاً في تحديد الجمال هو في الحقيقة احتراس من النغمة الواحدة ومن الافراط لان كليهما مسيء الى الفن . ونرى ايضاً ان ليس هناك تناقض بين التحديد الذاتي للجمال والتحديد الموضوعي . فاذا كان الجمال عند الموضوعيين وحدة وانسجاماً في الاجزاء واتزاناً في الحركة وراحة في الخطوط فالجمال عند الذاتيين هو انعكاس هذه الصفات عينها في نفس المتذوق . هو انعكاس الوحدة والاتزان والراحة ، هو حالة اكتمال ونشاط هادئ يحسها متذوق الجمال ويعبر عنها الفلاسفة بالحالة الاستاطيقية وانما هي توازن في قوى النفس يقابل التوازن في الاثر الفني .

بقي ان نقول لماذا حدد العقاد الجمال بالحرية استناداً الى « كانت » وبعض فلاسفة الجمال . ذلك لان حرية النمو والانطلاق شرط من شروط الكمال والنضوج والجميل في الطبيعة هو المخلوق السوي المكتمل النمو الذي اتيحت له حرية التكامل وأمن بذلك من التشوه والاغراب . وحرية الفنان شرط من شروط ابداعه واحتراس من تقيده بقاعدة معينة وانحداره الى التقليد وانعدام الشخصية . وحرية المتذوق هي احساسه بالجمال دون ان يكون مقيداً بقاعدة او قياس ، احساساً بديهياً ذاتياً ، وارتياحه الى رؤية الجمال ارتياحاً حراً غير مقيد بشهوة الامتلاك او حقيقة وجود ما يعاينه . فهو يتأثر بجمال الصورة بقطع النظر عن حقيقة وجودها في الاصل . كذلك الفنان حر من اية غاية نفعية او وعظية او عملية ، شأنه في ذلك شأن معاين الجمال .

هذه حرية الجمال في الجميل والفنان والمتذوق كما رآها « كانت » ، وهو ما حاول العقاد ان يبينه في مراجعاته معززاً بذلك شرطاً هاماً من شروط الجمال ومقتصراً على ناحية من نواحيه .

روز غريب

حنين بن اسحق الطبيب المثالي

بقلم الدكتور محمد يحيى الهاشمي

*

ان الذي يلفت نظرنا في حياة حنين النواحي الانسانية المجيدة ، فاذا صحت كل الروايات عنه ، نكون هنا امام عبقرية فذة قل مثيلها في تاريخ الفكر البشري . ولا اقصد بنبوغه من جهة الابتكار والابداع ، وانما كمسيحي في فهمه لجوهر دينه و كطبيب في وجدانه المسلكي النبيل الذي يمكننا ان نتخذه مثلاً أعلى على ممر الدهور . فحياته كما يصفها لنا مؤرخو العلماء كابن ابي اصيبعة وابن القفطي كلها محن ومصائب متصلة بعضها ببعض ، ولولا ايمانه الثابت ، وفهمه العميق لآلام المسيح واعتقاده الذي لا يتزعزع بان عليه ان لا يضجر من حياته مهما رأى من البلايا والشدائد لانتحر وفارق الحياة ، ولكنه وقف وقفة البطل امام الزوابع والاعاصير وضرب لنا مثلا لايقضي عليه كر الغداة ومر العشي فهو كالعود الذي يزداد بالاحراق طيباً .

نعم كان حنين ناقلا ، وكان يتقاضى اجرة على نقله ، حتى ان الخلفاء كانوا يعطونه بقدر ما ينقل ذهباً ، ولكن هدفه الاسمى فوق هذه المادة الدنيئة ، يدلنا على ذلك وقفته التي اراد الخليفة امتحانه بها ، والتي نود ان نتكلم عنها في هذه المقالة ولو فرضنا كما قال حساده انه لم يكن الا ناقلا اميناً للحكمة القديمة لكفاه بذلك فخرا ، فانه لو لم ينقل هذه الكتب الى اللغة العربية كما يرى بذلك اخصائيو تاريخ العلوم لتأخرت المدنية قروناً ، وان اجحف حقه بعض اقرانه فان الخلفاء اعطوه ما يستحقه من المكافأة اللائقة به ، وبقي فضله يردد على مدى الاجيال .

ان قصة حنين هي قصة ادبية رائعة ، قصة لم تكتب بالحبر وانما كتبت بالدم ، هي شعر انساني خالد لم يدون بالالفاظ الميتة بل دون بالروح الحية الفياضة . لو علم بها شكسبير لاتخذها موضوعاً لمسرحياته التي ادهشت العالم المتمدن ، هي سلسلة من الفاجعات العميقة التي تبدأ معه منذ تمتع بنور الوجود وتنتهي حين اغمض عينيه الى الابدية . ولعل من يسمع هذا الكلام يقول في سره ما بال المشتغل بالعلم قد انقلب اديباً ، ومحب البحث صار بلمح البصر شاعراً ، فاسكت العقل الهادىء الرزين وترك العاطفة الهياجة تتكلم ، يطري ويمجد ونحن لا نود اطراء وتمجيداً بل نريد البحث عن الحقيقة المجردة عن كل زخرف ، نريد ان نلمس كل شيء ببرودة ، لا اضرام نار الحماس في القلوب .

نعم ، نعم ، هذه هي غايتي ، وهذا هو هدفي ، ولكن لا استطيع ان انزع قلبي من بين جنبي واصبح حجرا جامداً .

ان قلبي ليصحبني اينما سرت وتوجهت ، اني ادع العقل يبحث ويمحص ، فاذا اهتدى الى شي اترك المجال للقلب ان يمكث هناك . ولا ادري هل يلومني القارىء لاني في بحثي العلمي تركت القلب يتكلم ، ام يعذرني « والعذر عند كرام الناس مقبول .

ان الرجل الذي نحن بصدده هو ابو زيد حنين بن اسحاق العبادي نسبة الى العباد ، وهي قبائل من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية بالحيرة : كان حنين لسناً بارعاً ، واقام مدة في البصرة ، وكان شيخه في العربية الخليل بن احمد ثم بعد ذلك انتقل الى بغداد واشتغل بصناعة الطب والترجمة ، وكان زعيماً لمدرسة خاصة عرفت باسمه ، تتلمذ على ابن ماسويه ولكنه رأى جفاء منه وكان يباعده من قلبه لان حنيناً كان من ابناء الصيارفة من اهل الحيرة ، واهل جندى سابور (كما يخبرنا بذلك مؤرخو العلماء) يكرهون ان يدخل في صناعتهم ابناء التجار ، ولقد نصحه بلزوم ترك الطب

والعلم والاشتغال بالمال ويقال ان استاذه طرده فخرج حنين باكياً مكروباً . هذه هي اول خيبة لقيها من استاذه الذي كان يعلق عليه جل آماله، فخرج مجروح العزة ولم ينجرح غروره لذلك جد واجتهد، فأثمر . لان من الغرور المجروح لا ينبت شيء، امـا العزة المجروحة فينبت منها شيء جديد وهكذا بدأ حنين يجد ويجتهد متشردا في البلاد الى ان اهتدى الى من علمه، وعلى احدى الروايات انه وجد بعد سنوات قلائـل في دار احد العلماء النصارى الذين اعتنوا بالمعارف اليونانية ، وكان ينشد شعراً لاوميروس (هومير) . تسكت الروايات عنه ، وبعد ذلك تخبرنا انه وجد عند جبرائيل بن بختشوع في معسكر المأمون قبل وفاته . ويقال ان حنيناً توفق في عهد المأمون الخليفة المحب للحكمة الى نقل وترجمة كثير مـن الكتب القديمة .

اما المحنة الثانية فهي التي نقلها لنا صاحب كتاب تاريخ الحكماء وطبقات الاطباء :

ان الخليفة (ولعله المأمون) لما سمع بعلم حنين كان لا يأخذ منه دواء الا بعد ان يشاور غيره . واحب امتحانه حتى يزول ما في نفسه ، ظناً منه ان ملك الروم ربما كان عمل شيئا من الحيلة . فاستدعاه وامر اليه بحاجته الى دواء يريد قتل عدو به ، فقـال حنين يا امير المؤمنين لم اتعلم الا الادوية النافعة ، ومـا علمت ان امير المؤمنين يطلب مني غيرها، فان احب ان امضي واتعلم فعلت ، وكان بهـذه الحجة يريد الفرار ، فلما علم الخليفة نيته قال له : هذا شيء يطول ورغبه وهدده وهو لايزيد على ما قاله الى ان امر بحبسه في بعض القلاع ووكل به من يوصل خبره اليه وقتا بوقت ، وهو هـادىء ساكن في حبسه ، دأبه النقل والتفسير والتصنيف غير مكترث بما هو فيه، وهذا بزعمي خلق نبيل، لايظهر الامن اعظم الناس قدرا . ثم امر الخليفة باحضاره واحضار اموال يرغبه فيهـا واحضر سيفاً ونطعا وسائر آلات العقوبات ، وهو مـع ذلـك مصر على رأيه والخليفة يقول له هذا لا بد منه، فان أنت فعلت فقد فزت بهذا المال وكان لك عندي اضعافه وان امتنعت قابلتك بشر مقابلة وقتلتك شر قتلة وحنين يجيب : « قد قلت لامير المؤمنين اني لم احسن الا الشيء النافع ولم اتعلم غيره» فقال الخليفة فأني اقتلك، قال حنين: لي رب يأخذ بحقي غدا في الموقف الاعظم ، فان اختـار امير المؤمنين ان يظلم نفسه فليفعل ، فتبسم الخليفة وقال لـه : يا حنين طب نفساً وثق الينا فهذا الفعل كان لامتحانك ، لاننا حـذرنا من كيد الملوك واعجابنا بك،فأردنا الطمأنينة اليك والثقة بك لننتفع بعلمك .

فقبل حنين الارض وشكر لـه ، ولما سأله الخليفة عـن اسباب اصراره عن امتناع تقديم السم اجابه : شيئان يا امير المؤمنين الدين والصناعة الدين يأمرنا بفعل الخير والجميل مع اعدائنا فكيف باصحابنا والصناعة تمنعنا الاضرار بابناء الجنس لانها موضوعة لنفعهم ومقصورة على مصالحهم . ومع هذا فقد جعل الله في رقاب الاطباء عهـدا مؤكدا بايمان مغلظة ان لا يعطوا دواء قتالا ولا ما يؤذي ، فلم ار ان اخـالف هذين الامرين من الشريعتين (الدين والطب) ، ووطنت نفسي على القتل ، فما كان الله يضيع من بـذل نفسه في طاعته وكان يثيبني ، فقـال الخليفة انهما الشريعتان جليلتان وامر بالخلع فخلعت عليه وحمل المال بين يديه وخرج من عنـده وهو احسن حالا وجاهاً .

ان القصص التي يرويها لنا مؤرخو العلمـاء من سيرة حنين تدلنا على انه كان محسوداً من اهل صنعته وكانوا يقولون عنه انه ناقل للكتب ليأخذ على نقله اجرة كما تأخذ الصناع على صناعتهم ، ولا فرق بينه وبينهم ، لان الفارس قد يعمل الحداد له السيف الا انه لا يحسن العمل به، فما للحداد وطلب الفروسية، كذلك هذا الناقل ماله والكلام في صناعة الطب ولم يحكم في عللها وامراضها، وانما قصده في ذلك التشبه بالاطباء. ليقال حنين الطبيب ، ولا يقال حنين الناقل . ويقول هو عن نفسه: « واعلم ان حسدهم هو الذي يدعوهم الى سائر الاشياء وان كان لا يخفى عليهم قبحها، فان الحسد لم يزل بين الناس على قديم الايام حتى من يعتقد الدباغة قد يعلم ان اول حاسد كان في الارض قابيل في قتله لاخيه هـابيل . . . ولقد اكثرت العرب ذكر الحسد في الشعر » ثم انشد :

ان يحسدوني فاني غير لائمهم ... قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا !
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات اكثرنا غيظا بما يجد
انا الـذي يحسدوني في صدورهم ... لا ارتقي صعـدا منهم ولا ارد

ان آخر محنة اصيب بها حنين هي تلك المكيدة التي دبرها له احد المنـافسين من الوشاة فقد احضر المتوكل صورة تمثل السيدة مريم وفي حضنها السيد المسيح والملائكة قد احاطوا بها، فاستحسنها المتوكل واخذ الواشي يقبلها في حضرته، فسأله الخليفة او كل النصارى هكذا يفعلون ؟ فقال نعم يا امير المؤمنين وافضل، ثم نمى اليه خبر مفاده انه مع تفضيلهم معشر النصارى لها، فأن هناك من يحتقرها وقصد بذلك حنين، فوصفه عند الخليفة بأنه زنديق ملحد لا يقر بالوحدانية، ولا يعرف آخرة، يستتر بالنصرانية لكنه معطل مكذب بالرسل . ولكي تتم للمفسد المكيدة ذهب الى حنين وقال له : ان امـير

المؤمنين عثر على صورة من صور النصارى ، فاذا رأيتها فلا تظهر له اهتمامك بها لانه يدين بدين غير ديننا . وهكذا تبدأ المحنة ويريد الواشون قتله الى ان يبرأه الخليفة المتوكل نفسه لمنام رآه ثبت فيه عنده انه كان بريئاً ، لا نريد تفصيله في هذه العجالة فمن اراد التوسع فليرجع الى المصادر التي نوهنا عنها .

هكذا اذا استقصينا سيرته نجدها كلها مصائب وآلام تدل على علو كعبه في الاخلاق وصبره على التعذيب والمحن . واننا لنرى في الحادثة التي اراد الخليفة امتحانه في اعطاء دواء سام بقصد قتل عدو له ، لعبرة كبرى ، نرى فيها الاخلاص الى درجة متناهية ، اخلاص للمهنة لدرجة تفضيل الموت على خيانتها . فهم عميق لجوهر الدين ، فالدين الحق مهما اختلف مظهره وتعاليمه يريد عمل الخير للشر مهما تباينت مذاهبهم ونحلهم ومشاربهم واعرافهم ، فهو كالشمس التي تشرق على عباد الله جميعاً

هكذا فهم حنين الدين ، وهكذا وقف في سبيل مبدئه وقفة الابطال الذين يستخفون بكل شيء حتى في حياتهم في سبيل مبادئهم السامية ، وهذا في زعمي خلق سام كريم ، لا يزول تأثيره ابداً وكم من الاطباء في عصرنا لا يعرفون شيئاً من هذا الوجدان المسلكي نرى ذلك خاصة في بعض اطباء القرى الذين يأخذون قيمة الادوية اضعافاً مضاعفة من الفلاح والقروي المسكين لجهله وابعده عن المدن ، وكم نرى من اطباء حتى في المدن يخونون مهنتهم فلا ينصحون الاهالي بلزوم مراعاة القواعد الصحية لان مثل هذه المراعاة تقلل من دخلهم . وكم يحتاج مثل هؤلاء ان يقتبسوا شرراً من تلك الشعلة الهائلة التي اوقدها حنين ! !

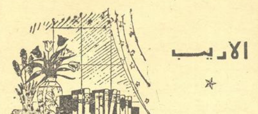
اننا لنقف ايضاً ، طأطئي الرأس امام ذلك الخليفة العباسي العظيم الذي لم يشأ ان يطمئن لحنين الا بعد ان امتحنه امتحاناً قاسياً ، وكمسلم متدين بل كخليفة وامير المؤمنين وامام لجميع المتدينين بشرع محمد في عصره ، قدر حنين كمسيحي واحترم دينه ، ولم يمنع اختلاف المذاهب من التقارب النفسي والتعارف الروحي بين خليفة المسلمين والعلماء المسيحيين .

*

اننا نفخر جد الفخر بتلك النواحي المجيدة في تاريخنا العربي . وفي الحقيقة ان فكرة التعاون العلمي والتسامح الديني قد نشأت وترعرعت في ارضنا قبل ان تعرف في ارض الغرب .

حلب — محمد يحيى الهاشمي

الاديب



*

– لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها من شهر كانون الثاني (يناير)

– تدفع قيمة الاشتراك مقدماً وهي :

في سوريا ولبنان : ١٢ ليرة لبنانية

في الخارج : ١٥٠ قرشاً مصرياً او ما يعادلها ترسل حوالة بريدية دولية او حوالة على مصرف بيروت

– الادارة غير مسؤولة عن الاعداد التي تفقد في البريد

– المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

– لدى الادارة مجموعات من الاديب تطلب بالثمن التالي :

السنة الاولى ١٩٤٢ ٣٥ ليرة او ٤ جنيهات انجليزية
« الثانية ١٩٤٣ ٢٥ « او ٣ « «
« الثالثة ١٩٤٤ ١٥ « او ٢ « «
« الرابعة ١٩٤٥ ١٥ « او ٢ « «

ويحسم ٢٠ ٪ لمن يطلب الثلاث مجموعات الاولى معاً

*

ادارة الاديب : شارع الاحرار ، غربي ساحة الدباس

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

سكرتير التحرير : بهيج عثمان

المدير الفني : مختار تملي

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب – صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت – لبنان

انبلج الفجر بعد الليل البهيم، وسرحت الغزالة تتسلل من مخبئها الى السماء فتشرق بأشعتها على الآفاق وتكسو البطاح والمروج الخضر بضوئها، وتعكس على صفحات الغدران بريقاً لامعاً يخيل للرائي ان الجداول اسلاك صيغت من صافي اللجين.

ورفعت الزهرة اليانعة الحمراء اهدابها التي ارقدها الظلام وقبضها البرد، وبدأت الحرارة تسري في وريقاتها النضيرة فتفعمها بالطاقة الحيوية، وتغذيها بأشعة الشمس، واخذ اريجها الفياح يعطر الجو، وينشر فيه رائحتها العبقة، فانتشت الزهرة نشوة الزهو، ودبّت فيها روح الكبرياء، اذ اجتمع لها الجمال والفتوة والارج الاطيب، وهل يروم كائن ما في حياته اكثر من تلك الخلال؟ وهل يطمع الانسان – ويقولون عنه انه ارقى الكائنات – في غير الجمال والصحة والنعيم؟

وكيف لا تختال الزهرة ذات الرداء الارجواني القاني وهي الوحيدة في البستان، تتلفت ذات اليمين وذات اليسار فلا تجد سوى سيقان عاريات قطفت ورودها وذوت اوراقها. ولمَ لا تميل الزهرة اليافعة مع الريح وتغالبها، ولمَ لا تهتز وريقاتها وتتمايل اعطافها وقد منحتها الطبيعة منتهى المرام، واغدقت عليها الهبات والنعم، ووهبتها كل ما تصبو اليه من شهوة الحياة؟

ماذا تخشى؟ التربة زاخرة بالغذاء، غنية به. والشمس سخية بالدفء لا تبخل به، والريح من حولها تداعبها وتناغيها وتفوّح عطرها وتنشره على اترابها من النباتات. الحياة ملء اهابها، والنضج يكسوها، والمرح يجلل هامتها.

لقد قطف البستاني البارحة اترابها من زهور الحديقة، ولكن عينيه اخطأتاها، فكتب لها عمر اطول من اعمار قريناتها، وافلتت من قدر كان محتوماً، وارجئت منيتها زمناً، وحق لها وهي المتفردة في البستان، ان تشمخ وتتعالى.

ولكن اخت يوشع لا تعرف الاستقرار ولا تدين به، فهي جوّالة طوافة ليس لها خدر تؤوب اليه او مثوى تثوى فيه. تشرق في الفجر وتقطع الفضاء من مشرقه الى مغربه كالعداء لا يبرحه العدو، وكالسهم المارق المندفع، ثم تغيب.

والساعات تولي كأنها تتعجل الاحداث وترحب بها، والزهرة التي كانت تستقبل يومها صبوحة الوجه متهللة البشرة رطيبة الاوراق منداة بماء الحياة الدافق، احست بالوهن يدب اليها، والرحيق المذخور يتبخر منها، والانحلال يتسرب الى اوراقها فلا تستطيع مغالبته او دفعه، والجفاف يكسو هامتها، والموت لها بالمرصاد لان النهار ولى الادبار وازف مجيء الليل المدلهم.

لكم تمنت تلك الزهرة وهي تحني رأسها – رغماً عنها – ان يقطفها البستاني. انها عاشت واشرفت على الموت وهي في الحالين انانية ذاتية، فلن يبكيها احد ولن يعتز بها احد...

لكم ناشدت خالقها مع كل قطرة ماء بخرت من وريقاتها ان يرسل اليها من يقطفها ويمتع نفسه بما بقي فيها من عطر...

لكم عضت اصابعها ندماً وحسرة على ايامها الماضيات، وعلى اثرتها وكبريائها. اما كان يمكن ان يقدمها زوج الى زوجته في ليل زفافها فتبتهج بها العذراء في ابهى ايام حياتها، اما كان يجدر بشاب ان يضعها على صدر فتاته فتزيد جمال الحسناء وفتنتها؟ اما كانت تجد من يحملها الى قبر حبيب فتؤدي رسالة تعجز القلوب عن ادائها؟

انها لتتفطر حزناً، فهي تؤثر الموت على لحد، على ان تموت على غصنها الذاوي. ما جدوى حياتها الخاوية التي محورها نفسها؟ اي لذة في العزلة في الحياة، والانفراد في الموت؟

انها لتقاوم عوامل الفناء بكل ما بقي لها من قوة. وانها لترهف السمع عساها تجد من يحملها رسالة فتؤديها عن طيب خاطر، وتقر عيناها بأدائها. ها هي ذي ترسل توسلاتها الاخيرة الاخيرة مع آخر قطرات من ماء الحياة تبقّت لها الى اجواء الفضاء تلتمس معونة من مانح الحياة، اذ ليس اشق على الحي من ان ينهي حياته دون ان يسدي خدمة او يفعل معروفاً.

ان انفاسها لتتقطع، والشمس على المغيب مشرفة، وليس من مجيب.

وتلك ريح خفيفة تهب مع غبش الليل، فتسقط الزهرة تحت مرأى الاقدار الساخرة ومسمعها!

القاهرة — وديع فلسطين

جنوب بلاد العرب

بقلم الدكتور خليل يحيى نامي

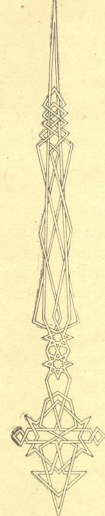
مدرس اللغات السامية بجامعة فؤاد الاول

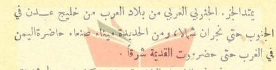
✱

ارسلت جامعة فؤاد الاول عام ١٩٣٦ بعثة علمية الى جنوب بلاد العرب ، فزارت بلاد اليمن وحضرموت وقامت فيها بدراسات جغرافية وأثرية وتاريخية .

والدكتور خليل يحيى نامي ، احد الثلاثة الذين تألفت منهم هذه البعثة ، يحدث قراء الاديب ، عن هذه البقعة العربية التي تدل آثارها على ازدهار تاريخي قديم .

●





يمتد الجزء الجنوبي الغربي من بلاد العرب من خليج عـدن في الجنوب حتى نجران شمالا ، ومن الحديدة ميناء صنعاء حاضرة اليمن في الغرب حتى حضرموت القديمة شرقاً .

وتوجد في هذه الارجاء الشاسعة هضاب كثيرة وجبال شامخة ، واودية خصبة واسعة تكثر فيها الينابيع الفياضة ، والمجاري الجارية في الاودية والسهول . وفي هذه الاراضي الخصبة المملوءة بالمناظر الطبيعية الساحرة نشأت الحضارة العربية الجنوبية التي تعد من اقدم الحضارات السامية القديمة . واول من زار هذه البلاد من الرحالة والمستشرقين الاجانب هو الالمانى كرستين نيبور في سنة ١٧٦١—١٧٦٧ م وقد بين الخرائب الحميرية وامكنة النقوش على خريطته المنشورة في سنة ١٧٧٢ م ، وزيتسين في سنة ١٨١٠ م ، وولستيد الانجليزي في سنة ١٨٣٤ م ، وهلتون وكروتندن في سنة ١٨٣٦ م ، والرحالة الفرنسي أرنو في سنة ١٨٤٣ م ، والعالم الفرنسي المشهور هاليفي في سنة ١٨٧٠ م وقد جمع في هذه الرحلة ٦٨٦ نقشاً من ٣٧ مكاناً مختلفاً ، وكانت كلها نقوشاً جديدة لم تعرف من قبل سوى ١٥ نقشاً كانت معروفة من الرحالة السابقين ، ثم زيجفريد لانجو والعالم الشهير جلازر في سنة ١٨٨٠ م ، وقام جلازر من صنعاء بمساعدة الاتراك بثلاث رحلات في بلاد اليمن الشمالية وذلك في سنة ١٨٨٢ — ١٨٨٤ م جمع فيها ٤ نقوش من الحجارة ، و ٢٨٠ طابعاً من النقوش (استمباج) ، وقام برحلة اخرى الى تلك البلاد في سنة ١٨٨٥ م جمع فيها ١٥٠ نقشاً ، وقام برحلة خامسة في سنة ١٨٨٧ - ١٨٨٨ م جمع فيها ٤٠ نقشاً سبايا و ٤٠٠ من النقوش المنسوخة ، وقـام برحلة سادسة في سنة ١٨٩٢ — ١٨٩٤ م جمع فيها كمية ثمينة من النقوش المعينية بينها معظم نقوش هاليفي ونقش صرواح الكبير المكتوب في العصر القديم من المملكة السبأية . كما عثر على مـا يقرب من ١٠٠ نقش قتباني ، و ٤٠ حجراً من النقوش ، وتماثيل وآثار مختلفة ، ومجموعة ثمينة مـن النقود العربية القديمة . وصور الرحالة الالماني بوركهارت بعض الآثار اليمنية وارسلها الى المانيا في سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ م ، وقـام

العالمان راتينس وفيسمان في سنة ١٩٢٧ - ١٩٢٨ م برحلة الى بلاد اليمن جمعا فيها عدة نقوش وبعضها من النقوش التي كانت معروفة من قبل .

وقام الرحالة فيلبي في سنة ١٩٣٥-١٩٣٦م برحلة الى حضرموت زار في خلالها مدينة شبوة القديمة وقد جمع في اثناء رحلته بعض النقوش الحضرمية والسبأية . وأرسلت الجامعة المصرية في سنة ١٩٣٦ بعثة علمية الى بلاد اليمن وحضرموت، جمعت في اثنائها ٩١ نقشاً، أحضرت معها الى مصر ١١ نقشاً .

هذه هي اهم الرحلات التي قام بها الرحالة والمستشرقون الى بلاد اليمن حتى الان ويتبين منها ان الاثار الكثيرة الموجودة فيها وآثار الاطلال والحصون والسدود ، وبقايا الهياكل تدل على ان هذه البلاد كانت في يوم من الايام ذات حضارة زاهرة تلألأت انوارها وقتا طويلا في تلك الارجاء ، ثم خبت أضواؤها وانطفأت لما انتقل مركز التجارة من تلك البلاد ، فخيمت الظلمة عليها وعاشت في تنافر وتناحر، وحروب ومشاحنات حتى استولى الاحباش عليها في سنة ٥٢٥ م . وكما ان العالم قد استفاد كثيرا من قراءة الهيروغليفية والنقوش المسمارية ، فقد حظي من قراءة النقوش العربية الجنوبية بمعرفة حضارة عربية جنوبية قديمة تمتد من الالف الثاني قبل الميلاد حتى ظهور الاسلام .

والنقوش العربية الجنوبية مكتوبة بخط الجدي يتفق في عدد حروفه مع عدد حروف الخط العربي غير ان الخط العربي الجنوبي له صورتان لحرف السين، اي انه يتكون من ٢٩ حرفا . وهو خط سامي غربي يكتب من اليمين الى اليسار ، الا في بعض النقوش القديمة حيث تكتب من اليسار الى اليمين (بوسطروفيدون) وهو يشبه الخط الحبشي المكتوبة به النقوش الحبشية القديمة . ولم تتغير حروف الخط العربي الجنوبي كثيرا او تتطور في جميع ادوار حياتها ، ولكن اشكال الحروف القديمة اكثر استقامة بخطوطها الكثيرة المتوازنة من اشكال الحروف الحديثة التي تكثر فيها الزخرفة والتدوير ، وهذا ما يجعل التمييز بينهما امرا ميسورا ، كما يساعد الباحثين على تاريخ النص لان كل النقوش تقريبا لاتتضمن حوادث تاريخية يستطيع بواسطتها الباحث ان يعتمد عليها في التاريخ اللهم الا ٩ نقوش مؤرخة بالتاريخ المحلي الذي يبدأ من سنة ١١٥ قبل الميلاد ، وبعض اسماء الملوك التي قد تساعد الباحثين في بعض الاحيان على بيان التاريخ التقريبي لهذه النقوش .

واغلب المواد المكتوبة عليها هذه النقوش هي من الحجر الرملي ، او الحجر الجيري ، او من الحجارة الاخرى الموجودة في تلك البلاد . كذلك بعض النقوش مكتوبة على الواح من البرنز وعلى الواح حجرية ، كما توجد مذابح وشواهد قبور عليها بعض الصور الرمزية ورؤوس من التماثيل المرمرية البديعة الصنع وغيرها من المنحوتات ، كذلك توجد ايضاً بعض التمائم المكتوبة على الخشب والحجر وموازين واختام وفصوص كريمة وعملة ذهبية وفضية ونحاسية وغيرها من الاشياء الاخرى الدقيقة الصنع . وكانت النقوش الحجرية توضع على الابنية الخاصة والعامة ، وعلى الهياكل ، وهي مكتوبة بخط كبير يستطيع الانسان ان يقرأها من على بعد شاسع ، وبعضها منحوتة نحتا فنيا دقيقا وحروفها جميلة متناسقة .

واغلب النقوش العربية الجنوبية هي نقوش دينية ، ونذرية ، ونقوش معمارية ، وتاريخية ، وقانونية ، وقبوريات، وبعض نقوش التوبة والغفران ، وكتابات عن حالات دينية وسياسية خاصة . وهذه النقوش على تباينها واختلافها تختم دائماً بخاتم ديني خاص حيث يوضع ما يتم في النقش تحت حماية الالهة ، ولا شك ان ذلك كان يتم باحتفال ديني كبير .

ولم توجد بعد في النقوش العربية الجنوبية القصائد الدينية والقصص الديني بحيث تذكر الالهة المعروفة وطقوسها الدينية كما انها تتعرض للديانة العربية الجنوبية الا عن طريق غير مباشر . واسماء الالهة واسماء الاعلام المقدسة هي اثمن ما في النقوش لدى العلماء والباحثين .

وتفسر لنا النقوش المختلفة ما جاء في سفر الملوك الاول اصحاح ١٠ عن زيارة ملكة سبأ لسليمان وما نقلته معها من جمال تحمل طيباً، وذهباً كثيراً جداً ، وحجارة كريمة ، وما جاء في القرآن الكريم – سورة سبأ – آية ١٥ لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور – كما نفهم ايضاً شهرة بلاد العرب السعيدة وغناها المفرط عند اليونان والرومان مما دعاهما الى الطمع في تلك الثروة العظيمة فجرد الرومان جيشاً قبل الميلاد ، وساقه اليوس جالوس الى تلك الانحاء لافتتاحها واخضاعها فباء بالفشل وهلك في الصحراء ، كما يتبين لنا ايضاً من هذه النقوش صحة ما كتبه مؤرخو العرب عن بلاد اليمن وحصونها وقصورها الشامخة التي ما زالت اطلالها موجودة هناك حتى الان تشهد بما كان لاصحابها الاولين من عز وسؤدد .

لغة هذه النقوش

اطلق العلماء على اول نقش وصل الى اوروبا من هذه البلاد اسماً حميرياً لانه كان من المعروف ان الحميريين يسكنون تلك البلاد في العصر الجاهلي، وعرف الباحثون بعد رحلات هاليفي نقوشاً معينية وسبأية او نقوشاً عينية قديمة، كما عرفوا ايضاً من رحلات جلازر نقوشاً حضرمية وقتبانية واوسانية فأطلقوا على كل هذه النقوش اسم النقوش العربية الجنوبية، وسموا لغتها « اللغة العربية الجنوبية »، وهذه اللغة هي لغة سامية غربية جنوبية لها طابعها المحلي الخاص، وهي قريبة من اللغة الحبشية القديمة واللغة العربية الفصحى في صيغها وتراكيبها وألفاظها، كما تذكرنا اصول الكلمات المذكورة في الاصطلاحات الدينية باللغة العبرية غير انها تختلف عن اللغات السامية الاخرى في بعض المفردات حتى ان بعض النصوص المعينية لم تترجم بعد .

ولم تصل الينا كل النقوش بحالتها الاصلية فكثير منها عبارة عن قطع مكسورة توجد صعوبات جمة في فهمها، ولا يمكن ترجمتها الا ترجمة تقريبية، كما اننا نجد في هذه اللغة العيوب التالية :

١ – خلو كتابات هذه اللغة من الحركات .

٢ – كل الافعال الواردة فيها هي في صيغة الغائب .

٣ – انها قليلة الالفاظ والمفردات .

وقد حالت كل هذه الاسباب بين العلماء وبين مقارنتها باللغات السامية الاخرى القريبة منها، او باللهجات الحديثة الموجودة في تلك البلاد .

ومهما يكن من شيء، فقد اخذ العلماء والباحثون بعد تحقيق قراءة هذه النصوص في تحقيق معاني الكلمات بمقارنتها بنفس الكلمات الموجودة في لغات سامية اخرى ، او بمقارنتها بالنصوص العربية الجنوبية الاخرى الشبيهة بها في المعنى، او بتلمس معانيها من سياق النص الموجود، او من اللهجات العربية الجنوبية الحديثة التي درست دراسة علمية كالشحرية والمهرية والسوقطرية .

وبعد ان درست هذه الكتابات دراسة تفصيلية واسعة بعد تقدم التحليل النحوي اصبح من الممكن تقسيم هذه اللغة الى خمس لهجات وهي :

١ المعينية – وهي لغة المعينيين وكانوا يسكنون بلاد الجوف، ويقول اغلب المستشرقين ان المملكة المعينية اقدم دولة ملكية في جنوب بلاد العرب، ابتدأت في النصف الاخير من الالف الثاني قبل الميلاد . كما يقول غيرهم انها كانت معاصرة للمملكة السبأية اي انها قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، ويقول آخرون بانها احدث من المملكة السبأية اي ان دولتها قامت بعد العصر الذي قامت فيه المملكة السبأية .

وكانت عاصمتها قرناو وتعرف الان باسم معين ، وهي خرائب وانقاض شمال شرق اليمن في وادي الخارد . ومن اشهر مدنها يثل وتعرف اليوم باسم براقش ، وهي ومعين على بعد ١٢٠ كم تقريباً شمال شرقي صنعاء . وامتدت المملكة المعينية حتى مدينة العلا المعروفة باسم ددان في التوراة ، وباسم معين مصران في النقوش المعينية . وكانت لهم فيها جالية معينية كبيرة ، كما كانت محطة

الجوائز الكبرى في سباق الخيل – بيروت

خلال شهر نيسان ١٩٤٦

الجائزة		التاريخ
جائزة الدربي	–	٧ نيسان
جائزة البارك	–	١٤ نيسان
جائزة بغداد	–	٢١ نيسان
جائزة الفصح	–	٢٢ نيسان
جائزة كحيلان	–	٢٨ نيسان

تجارية للقوافل العربية الجنوبية الذاهبة الى الشمال .

وكان المعينيون اصحاب حضارة عريقة في القدم ومعاملات تجارية واسعة، فكانوا يتجرون مع مصر وغزة وبلاد آشور وبلاد اليونان كما يظهر من نقوشهم ، وقد وجد نقش معيني في ممفيس ، كما وجد نقش آخر في جزيرة دلوس مكتوب بالمعينية واليونانية ، قدمه كاتبوه للاله المعيني ود .

ويختلف المستشرقون في زمن انتهاء المملكة المعينية فيقول بعضهم بانه حدث في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد ، ويقول آخرون بانه حدث في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد

٢ السبأية – وهي لغة المملكة السبأية التي كانت في جنوب وادي نجران حتى غربي الجوف .

تاريخ المملكة السبأية – يقول الاستاذان موردتمان ومتفوخ في كتابهما : نقوش سبأية – انه بعد دراسة النقوش السبأية العديدة وغيرها من المصادر التاريخية يجوز لنا ان نفرق بين ثلاثة عصور مختلفة من تاريخ السبأيين وهي :

١ – العصر الاول وهو عصر تأسيس المملكة السبأية في مأرب في عهد المكاربة – (المكاربة جمع مكرب وهو حاكم ديني او رئيس الكهنة ، او الحاكم الديني التام الذي كانت تخضع له ملوك المدن . واغلب المستشرقين يقولون بانهم اول من حكم في البلاد السبأية ، ولكن موردتمان ومتفوخ يشكان في ذلك) والملوك ، وحروب السبأيين مع معين وقتبان وحضرموت ، وازدياد الدولة السبأية في القوة واتساعها حتى صارت دولة كبيرة . ويجوز للانسان ان يضع اول هذا العصر في القرن العاشر او التاسع قبل الميلاد ، وانتهاؤه حول اول تاريخنا . – ويقول بعض المستشرقين بانه ينتهي في سنة ١١٥ ق م ويقول آخرون بانه ينتهي في سنة ٢٠٠ ق ٠ م ٠ – وكانت عاصمة المملكة في ذلك العصر صرواح ومأرب .

٢ – العصر الثاني وهو عصر ملوك سبأ وذي ريدان ، وقد امتد حتى النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي . ويمتاز هذا العصر بظهور الحميريين كحكام للبلاد (ريدان – ظفار) مع انتقال العاصمة من الاراضي الداخلية (في مأرب) الى منطقة الساحل (في ظفار اليمن) . وظهرت في آخر هذا العصر دولة بني همدان

ويقول الاستاذان في موضع آخر من هذا الكتاب انه من الجائز ان الاسرة الهمدانية تولت الحكم في هذه البلاد في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، وصار ملوكها يعرفون باسم ملوك سبأ وذي ريدان . ثم حدثت في ايامهم منازعات وخصومات أدت الى تدخل الاحباش في القرن الثالث الميلادي . ونجد كثيرا من الملوك في هذه الفترة من الاضطرابات يحملون اللقب الملكي في وقت واحد مثل شامر أوتر الهمداني ملك سبأ وذي ريدان ، والشرح يحضب ملك سبأ وذي ريدان ، وشامر يهرعش ، ملك سبأ وذي ريدان .

(٣) العصر الثالث وهو العصر الاخير من المملكة السبأية ، ونجد فيه الملوك يلقبون باسم ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت – أي كافة جنوب بلاد العرب ، وينتهي هذا العصر بخضوع البلاد للحبش في سنة ٥٢٥ م

(٣) واللهجة الثالثة هي القتبانية وهي لغة القتبانيين ، وكانوا يسكنون جنوب مأرب . وكانت حاضرة مملكتهم تمنع وهي على بعد ١١٠ ك . م تقريبا جنوبي شرقي صنعاء . وقد دالت دولتهم في القرن الثاني او الثالث الميلاديين حيث ضمت الى المملكة السبأية .

(٤) الحضرمية وهي لغة المملكة الحضرمية ، وكانت شمال حضرموت الحالية في اقليم وادي حضرموت الى الغرب ، وكانت عاصمتها شبوة وهي في منتصف الطريق شبام وتمنع عاصمة قتبان . وقد ضمت الى المملكة السبأية في سنة ٣٠٠ م .

(٥) الاوسانية وهي لغة مملكة أوسان ، وكانت جنوب قتبان حتى حضرموت ، وتاريخها غامض لان النقوش الاوسانية التي عثر عليها حتى الان قليلة جدا ، ولكن مما لا شك فيه ان المملكة الاوسانية قد ضمت الى المملكة السبأية في سنة ٣٠٠ م .

هذه هي اللهجات العربية الجنوبية القديمة ، واهم فرق بين السبأية واللهجات الاخرى أن السبأية تستخدم الهاء في ضمير الغائب المنفصل والمتصل وفي الافعال المزيدة ، بينما تستخدم المعينية واللهجات الاخرى السين في هذه الحالات .

وما زالت دراسة العربية الجنوبية في الابتداء لانها خالية من المراجع والوسائل التي تساعد على دراستها دراسة خصبة واسعة كما انها في اشد الحاجة الى وضع قاموس ترتب فيه أصول الكلمات ترتيبا ابجديا مع ذكر كل المواضع والنصوص التي وردت فيها ، وهذا القاموس يحتاج الى عمل مضن جبار لان المواد العربية الجنوبية مشتتة في النقوش المنشورة في الكتب المختلفة والمجلات المتعددة » ولدينا الى الان ما يقرب من ١٠ آلاف نقش أو يزيد .

القاهرة — خليل يحيى نامي

الناس

الناس انواع :

منهم نوع يقول انما الحياة لذة ، واصحاب هذا المذهب فريقان : حسيّون وعقليون .

اما الحسيون فيحسبون الحياة زقاً وقينة . واذا فتشت وجدت ان اكثر الناس حسيون في كل زمان ومكان . منهم « بهرام جور » فقد أمر الناس ان يعملوا كل يوم نصفه . ثم يستريحوا . ويتوفروا على الاكل والشرب واللهو . وان يشربوا على سماع الغناء .

واما العقليون فان اعظم اللذات عندهم المعرفة ، وخير جليس عندهم الكتاب .

فالفريقان متفقان في طلب اللذة . ولكنهما مختلفان في طبيعة هذه اللذه .

ومنهم نوع يقول انما الحياة مجد . واصحاب هذا المذهب فريقان : فريق يعرفون الخير فيعملونه ، فيمجدهم الناس لخيرهم ، وفريق لم يتفق لهم ان يعرفوا الخير . واذا عرفوه فانهم لم يرزقوا القدرة على احتمال المؤونة فيه ، اذن ليس لهم الا ان ينغمسوا في الشر ، ويطلقوا ايديهم فيه على رأي ذلك الشاعر الذي قال :

اذا انت لم تنفع فضر

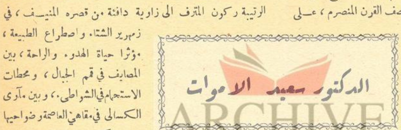
فيمجدهم الناس خوفاً من شرهم ، ولكن يظهر ان اصحاب هذا المذهب يقلون شيئاً فشيئاً ، اذا غاب منهم سيد لم يقم سيد . بل قد ينتقلون من الجانب الواحد الى الجانب الاخر . فقد عرفت كثيرين منهم كانوا يفعلون الشر وهم يعلمون انه شر . وكانوا مع ذلك يفتخرون بشرهم . فقد سمعت باذني من يقول : اعتديت ، واغتصبت ، وفعلت وتركت . ولا يخجل . ثم ارتقوا قليلا فجعلوا يدّعون ان الشر قوة . فاذا افتخروا فبالقوة لا بالشر . ثم رأوا الناس يتحدثون بالخير . فامسكوا عن افتخارهم بشرهم حياء — والحياء من علائم الخير — وجعلوا يتكلفون الخير تكلفاً . ويدعونه ادعاء اختلاساً لثقة الناس بهم . ثم لم يلبثوا ان خلصت نفوسهم من الشر ، واصبحوا من اهل الخير برغم انوفهم . فاذا رأيتم بعد اليوم اشراراً فلا تقنطوا من رحمة الله — ومنهم نوع يقول انما الحياة واجب . واصحاب هذا المذهب يحملون الدنيا على ظهورهم : يمرض الناس فيعودونهم ، يفرح الناس فيهنئونهم ، يحزن الناس فيعزونهم ، يعجز الناس فيساعدونهم ، تظلم البصائر فينورونها ، تعثر الاقدام فيقيلون عثراتها . يقع خلاف بين الناس ولو في اقصى البلاد فيتطوعون لازالته ، اذا رأوا اعوجاجاً قوموه ، واذا رأوا استبداداً قاوموه .

هذا الفريق من الناس هو الذي عناه الشاعر بقوله :

بهم النجاة من الاذى ، وعليهم ... في كل فادحة نصيب موّل

قد يميل اصحاب اللذة الى المجد والواجب ، وقد يميل اصحاب المجد الى اللذة والواجب ، وقد يميل اصحاب الواجب الى اللذة والمجد . فاذا تجاذبت الواحد منهم هذه الميول فصاحب اللذة يضحي بالمجد والواجب في سبيل لذته ، وصاحب المجد يضحي باللذة والواجب في سبيل مجده . وصاحب الواجب يضحي بلذته ومجده بل هو على استعداد لان يضحي بحياته في سبيل واجبه .

القدس — خليل السكاكيني



قصة

بقلم رشاد المغربي دارغوث

بدأ حياته ، بعد ان تخرج من مدرســة الحي الابتدائية ، معلما في المدرسة نفسها ، يدرس اللغة الفرنسية اصبيان ما سمعوا منها الا ما يجري على بعض الالسن في الحياة اليومية ، من الفاظ التحية والشكر ، في هذه المدينة العريقة في التاريخ وفي التجــارة ، وان كان اوائك الصبيان قد بلغوا الثامنة والعــاشرة من عمرهم . فيعجبون بلفظ «الاستاذ» كلمات هذه اللغة الاجنبية عــلى الطريقة الباريسية ، ويملأ اعجابهم صدر الاستاذ ثقة بنفسه وايمانا بعبقريته . فيلتفت الى احد زملائه الجدد يفاخره ويقول :

—«انت ترى .. العلم الكثير يجد من يقدره ولو بعد حين».

والاستاذ سعيد لم «يتغرب» على الرغم من بلوغه مبلغ الشباب ، في ابان تزاحم الدول الاستعمارية في نصف القرن المنصرم ، عــلى نشر نفوذها في هــذه البقعة من الشرق العربي ، وعلى الرغم من ان له وساطة قوية في علاقات امه الكثيرة المتشعبة ، وشفاعة محببة في شبابه الغض ، وقامته الفارعة ، ومرونته المائعة .

ولكنه مع ذلك لم يفقد الامل في ان تختاره احدى الدول ، من بين رفاقه المعلمين الاهليين ، وترسله في بعثة الى الغرب ... يتخصص فيها بما يتيسر من العلوم والفنون . فيقول لامه واخته في الحديث الذي يختتم به كل امسية .

—« انا احق من كل واحد ذهب الى اوربا .. ان شهاداتي كفاآتي واستعداداتي ... ولكن الحظ ... وعلى الحظ لا عليك الملام»

فتحاول ام سعيد ان تهدىء من ثورة اعصاب ابنها التقليدية فيهدأ باسرع مما تترقب ، ثم ينام معتزماً ان لا ينفك عن السعي ، دون هوادة في جمع المال الذي تزداد حاجته اليه ، كلما ارتقى السلم الاجتماعي ، وخرج من محيطه المتواضع ، في ضاحية المدينة القريبة ، الى بيئة المثقفين من ابناء الاسر الموسرة . حتى اصبح هذا المال ، الذي يعبده سعيد ويحتقره ، اكبر عامل في ازدواج شخصيته . وراتبه الذي لم يتجاوز قبل الحرب حدود اجرة العامل اليدوي في ابسط مصنع للحلاوة والمعكرونة في بيروت ، لا يكفي لسد حاجة من حاجات شاب نال من العلم قسط الجيل الذي انبتته الحرب الماضية ، واستجمع من الغرور أبعد ما تستوعبه الطاقة البشرية . وهو أطول زملائه قامة واصبحهم وجهاً ، وارشقهم حركة . وامه وشقيقته معروفتان في كثير من البيوت لانهما تغنيان في الحفلات ، وتحضران « الاستقبالات » وتتحدثان باخبار الناس .

وتمضي الايام بسرعة ، في الفترة التي تدنت فيها تكاليف الحياة اليومية الى مستوى موازنة طفل في السادسة من عمره ، عشرة قروش تموّن البيت بزاد اليوم ، وعشرة مثلها تكسو العيلة ، وخمسة اخرى للكماليات ، فتضعف همة الاستاذ سعيد ، ويركن الى حياته الرتيبة ركون المترف الى زاوية دافئة من قصره المنيــف ، في زمهرير الشتاء واصطراع الطبيعة ، مؤثرا حياة الهدوء والراحة ، بين المصايف في قمم الجبال ، ومحطات الاستحمام في الشواطىء ، وبين مآوى الكسالى في مقاهي العاصمة وضواحيها ولكن حاجة الاستاذ سعيد الى المال تزداد شدة على مر الايام . والمال اللعين يفلت باصرار من بين انامله الدقيقة ، وينساب الى ايد لا يراها احق به من يديه .

— انا اعلم من سليمان بك ، واعرف كيف انتفع بالاموال فلماذا ينصب عليه الذهب انصبابا واشتهي رائحة الورق .

ويزداد الشاب اندفاعا ومرونة ويزداد حرصا على ان لا يكبت الالم الذي يجده من هذا الحرمان ، لئلا يضطر الى التخفيف عن نفسه بحديث ، او الى الانفجار بخطاب ، فيتهم بالفوضوية ، ويطرد من عمله . ثم ينغمس مع صديقه خليل الصفدي ، الذي يتحمل عنه كثيرا من النفقات ، في المجون الرخيص والعبث الماجن ، انغمــاس الشبان الاخرين من ابنــاء جيله الذين لا تربطهم بالمبادىء الاخلاقية ، والمثل العليا اية رابطة ، ولا يكبح جماح عواطفهم اي رادع . فاذا قال له رفاقه المعلمون :

– ياسعيد هذا مناف لشرف المهنة .

تساءل ساخرا :

– وهل شرف المهنة في خنق الحيوية والموت في الحياة .

وتبلغ ازمة البطالة في البلاد حدها الاعلى ، ويتزاحم الشبان المثقفون ، بعد يأسهم من الوظائف ، على ابواب المعاهد العلمية ، يعرضون جهودهم لقاء اجور زهيدة . بل ان معظمهم ليقضي سحابة نهاره متنقلا بين المقاهي ، او مرابطاً عند مفارق الطرق ومحطات القطار . فتمر بالاستاذ سعيد اوقات حرجة ، يرى فيها رزقه على وشك الانقطاع مرات متعددة في الاسبوع الواحد .

فهذا دكتور في الفلسفة ، يرتضي العمل براتب دون راتب الاستاذ سعيد المتواضع . وذاك استاذ في العلوم ، يغبط معلم الكتاتيب على ما يتقاضاه من « خميسية » وذاك مجاز بالحقوق يكتفي بالاستخدام مستكتبا في احد المتاجر .

ويجد الاستاذ سعيد من كل ذلك ضيقا في نفسه ، وتوترا في اعصابه ، يبلغان به حدود الثورة والنزوع الى الاجرام . فيضاعف جهوده ومساعيه ، لاجئا الى هذا وذلك من الزعماء ، يستجدي المعونة والعطف والمساعدة ، ولو على الاحتفاظ بمنصبه في التعليم الحر الى حين ، ويردف قائلا :

– ياسيدنا الزعيم ، نحن بامرك كما تعلم . قبل الانتخابات وبعدها .

ولن ينسى الاستاذ سعيد تلك الاوقات الطويلة التي قضاها في الانتظار عند الابواب سواء في منازل الزعماء او في مكاتبهم وسائر الامكنة التي يرتادونها ، بعد ان ابهظته نفقات الانتقال من مدرسته ، في اطراف البلدة ، الى دار الحكومة تارة والى مقر « المفوضية » تارة اخرى ، والابواب هنا وهناك مقفلة في وجهه ، بشتى الاعذار التي يختلقها كبار الناس في مداراة صغارهم فقد وقف سعيد ذات مرة خمس ساعات متصلة ، يترقب عودة الزعيم الى منزله او خروجه منه . وباعة الصحف من حوله عشرات يروحون ويجيئون ، وينادون ويتخاصمون ، فيثيرون اعصابه بصراخهم الفاجع ، والحافهم الوقح ، وبما يختلقونه من الحوادث والاخبار ، ولكن سعيد لا يحقد على ذلك الزعيم بقدر ما يحمد له ما اكتسبه في ذلك الحين من عادة المطالعة بثمن بخس قرشان ينقدهما بائع الجرائد ، فيقدم الصبي اليه على التوالي ، جرائد الصباح وصحف المساء كلما انتهى من مطالعة واحدة استردها واعطاه اختها وهو الى هذا يحمد لتلك العادة ما وفرته له من مواضيع جديدة للفخر والاعتداد والزهو .

ولكن هذا الرخص نفسه يخيف الاستاذ . فهو لم يحل الازمة التي ما فتىء يتخبط فيها ، منذ ان استشعر تبعاته كرب عيلة ، وتذوق لذاذات الانفاق عن سعة ، في كنف اصدقائه الجدد ، وعلى موائدهم المترفة ، بل زادها تعقيدا وحدة ازمة مادية تتعثر بالمصاعب التي يشاركه اكثر الناس تحملها ، وازمة معنوية تصطدم بما يجبهه من عقابات في سبيل تحقيق احلامه ، وما يلقاه من حسد زملائه على القليل الذي عنده .

وتشتد الدعايات الاجنبية ، وينشط الدعاة الفاشيست بصورة خاصة ، حتى ليخيل اليهم ان حوض البحر ، الذي اعتبروه بحرهم قد عاد مرة ثانية رومانيا صرفا .

وهذه البعثات يجمعونها من هنا ومن هناك ، طلابا وطالبات ، رجالا ونساء ، مثقفين وانصاف متعلمين ، ثم يحملونهم الى بلاد الموسيقى والغناء ، مقابل رسم ضئيل لا يبهظ حتى موازنة سعيد المتواضعة .

ويفكر الشاب طويلا :

– هذه فرصة لن تتكرر ، اسافر الى الغرب ، واحقق امنيتي . وماذا علي لو وقعت بطاقة الفاشيست ووافقتهم على عقيدتهم . موسوليني لا يخطىء ابدا .

ثم يقول لنفسه مقررا الصمود في وجه هذه المغريات .

– لا سأتريث فربما نشطت الدعاية الالمانية بعد مدة فتمتد سفرتي عندئذ في المكان وفي الزمان .

وفي اليوم التالي يقرر سعيد ان يرفض كل فكرة استعمارية سواء جاءت من هنا او من هناك ، وان يكتفي بالسعي للحصول على مقعد في البعثات التي توفدها الجمعيات الوطنية ، الى مصر والعراق ، حيث انشئت جامعتان عصريتان لغتهما العربية التي يستطيع ان يعبر بها عن افكاره .

وتعود الاهواء الى رأس الاستاذ سعيد تتنازعه فتعصف بقلبه المطامع ، ويعود الى التردد طويلا انه يأبى ان يسبقه رفاقه الى قطف الثمرة المشتهاة ، وهم الذين سبقوه في كل شيء ، في العلم الصحيح ، والانتاج المثمر ، وفي المنزلة الاجتماعية ، على الرغم من انه الف كما الفوا وحاضر كما حاضروا . ويخيل اليه ان كتابه « كلمات في التربية » التي نشرها قبل الحرب لم تبرح معروضة على رفوف المكتبات . وان القاعة التي خطب فيها لم تبرح جدرانها ترجع صدى اقواله الرائعة .

وفوق هذا ، فقد حمل الاستاذ سعيد ارفع الالقاب التي اطلقها

متمردة

صولي علي فلن ابالي وتقحمي ابداً قنالي
انا من هزأت بحادثات الدهر قبلك والليالي
مري على احلام نفسي في الصباح وفي الزوال
وثبي على قلبي الطموح ، على اماني الغوالي
واستوقفي حتى جموحي عبر صحراء الخيال
لن تغمزي ابداً قناتي يا خطوب ولن ابالي
انا لست الا صخرة جثمت لتهزأ بالرمال
انـا لست الا ارزة ربضت على صدر التلال
خضراء تشرق كالرجاء الغض في دنيا الجمال

صور . زهرة الحرّ

بعض الشباب على بعضهم الاخر ، فكان (القائد الاعلى للجبهة الغربية) في احدى المنظمات .

ويبدو للاستاذ سعيد الاموات ان اسمـه هذا ، المشتق من صناعة جده في حفر القبور ، وما يتقوله الناس من ان اباه لم يكن كفؤاً لامه ، وانه تزوجها برغم ارادة ذويها ، فضلاً عما يزيدونه من عند انفسهم تظرفاً او افتراء ، كل هذا كان حائلاً دون بلوغه ما يريد . ولولا الغرور الذي جعل منه رجلاً غريباً في بيئته وفي نفسه ، لا يرضى عما نشأ عليه ولا يرضى من حوله عما يختطه لنفسه في الحياة ، لكان ما ينعته به الناس ، من ثقـالة وسماجة ، تهمة كسائر التهم التي تلصق به ظلماً وبهتاناً .

ولكن الاستاذ سعيد الاموات لا يقيم لهؤلاء الناس وزنا ، ولا لما يتنابذون به من القاب ، وان كان في قرارة نفسه ، يجد في تلك الالقاب التي تشيع وتلازم بعض الناس عنوان نفسية اصحابها ، ومظهراً لما يبطنون من نيات او ينطوون عليه من روحية ، فهو لا هدف له في هؤلاء الناس سوى ان يستخدمهم للوصول الى اغراضه . ولا فرق لديه عندئذ بين الاحمر الذي اصطبغ بالدم المراق . وبين الاحمر الذي تلون بصباغ الشفاه .

في هذه الغمرة التي اخذت العالم قبيل الحرب الاخيرة ، يوم كان خطاب من زعيم يوشك ان يقدح الشرارة الملهبة ، وكلمة من زعيم آخر تسقط من المصور تخطيط احدى الدول ، والنـاس في بحران من سوء المغبة وظلمة المصير ، وما يترقبونه من ويـلات مجزرة ، شيعوها عشرين سنة ، طفلة شرسة تخمش باظفارها ، فاذا بها ، في وجدان العالم ، غول مرعبة تتكشف بسمتها الرهيبة عن افظع معاني البطش والتخريب والهول . فيكفهر جو البلاد بما يتلبد فيه من سحب المطامع الاستعمارية ، وينشط دعـاة السوء والهزيمة يخدعون الناس ويراودون البلاد عن نفسها . ويقرر الاستاذ سعيد الاموات بلوغ هدفه ، مهما كلفه الامر . ويسافر في بعثة للتفرج والسياحة والدعاوة ، تاركا وراءه اماً لا معين لها الا ابنتها وصوتها الجميل ، ومدرسة طائفية يقيم اربابها الدعوى عليـه ، لتجاوزه على الاتفاق المكتوب بينهم ، وديونا وفيرة تجمع على كرهه بين البقال والفران والخياط وسائر ارباب الحقوق ، وسمعة رجل يقامر بشرف قومه وحقوق وطنه . وتنقضي فترة الاشهر الثمانية الممتدة بين آذار وتشرين ببطء وهدوء ، فقد غاب شخص الاستاذ سعيد الاموات عن عيون باعة الصحف ، وقاطعي التذاكر في القطارات ، كما اختفى ظله عن كواهل كثير من الناس ، وعن اطراف المقاهي ، وشواطيء البحر والسفوح . حتى اذا اقبل الخريف باوراقه الصفراء المتناثرة ، واوبئته المتوافدة المتكاثرة ، رست في ميناء بـيروت ، بقرب المكـان الذي كان مستقراً للاموات في القرن المنصرم ، باخرة ضخمة تحمل فوق اطنان الحديد ، وقناطير الرصاص ، رجلا اضخم قليلا مما كان ، واطول انفا ، هو « الدكتور » سعيد الاموات .

رشاد المغربي دارغوث

عنـــاصر الادب النفـسي

بقلم ابو مدين الشافعي

ماجستير في علم النفس من جامعة فؤاد الاول
سكرتير تحرير مجلة علم النفس

★

هل يوجد علم للنفس

لا يزال البعض من مختلف طبقات المفكرين يشك في وجود علم تام يقف على كل أحوال النفس ويتتبع كل تطوراتها ويدرك كل تقلباتها ، ان ميزة النفس حسب ما قرره العلامة وليم جمس وأيده هنري برجسون هو التغير والاستمرار في التحول فهل يمكن أن يقوم علم على موضوع يتجدد في كل لحظة : يموت ليحيا ، ثم يحيا ليموت ؟ أليست النفس صورة نهر تجري فيه الحالات النفسية كما تجري تيارات النهر المتضاربة والمتشعبة على السطح وفي الاعماق ؟. نعم ! هذه ميزات النفس وهذه خصائصها ، ولكن سرها العجيب هو وجود صورة ثابتة لها ، قائمة على تغير دائم مستمر يتجدد في كل لحظة وفي كل حين — ان النفس حقيقة ككل الحقائق الوضعية فلا بد من الوصول اليها بأي طريق من الطرق . وقد كان امام الناس طريق العلوم الطبيعية القائمة على التحليل والتركيب فسار قوم في هذا الطريق علهم يجدون منفذا ينفذون منه الى النفس . وظهرت المدرسة التحليلية الانجليزية تحاول أن تصل الى حقيقة النفس عن طريق تركيب الحالات النفسية بعد تمييزها وعزل بعضها عن بعض لادراك كيان كل منها . وجاءت مدرسة « الجشتلت » الالمانية (المدرسة التي تقول بأهمية الشكل الموحد) تحارب المدرسة التحليلية وتوضح ضرورة الرجوع الى الكل الذي يصبغ على الاجزاء معنى خاصا وفطنت بعض الجامعات في أميركا الى توسيع نطاق الاطار الذي تتكون فيه النفس ولا يمكن فهمها الا بالرجوع اليه . وهذا الاطار مزدوج فهو الجسم من ناحية والمجتمع من ناحية اخرى وقد تتأثر النفس ببعض الحالات النفسية القديمة فنضطر لفهم أي نفس الى أن نظر الى العوامل النفسية والجسمية والاجتماعية وشاعت هذه الفكرة في مختلف أرجاء العالم الحديث وتناولت مؤتمرات علم النفس الدولي علم النفس التكاملي بطرق مختلفة في الوضوح وقامت مدرسة حديثة في مصر تبحث عن طريق يؤدي بنا الى معرفة النفس في تكاملها فتكونت جماعة علم النفس التكاملي التي تقترح منهاجا خاصا لبلوغ هذه الرغبة العامة .

العلم والفن

ان كان العلم الطريق المؤدية الى التغلب على الصعاب فالفن طريق لتخفيف الشعور بهذه الصعاب في حالة العجز عن ازالتها — وكنا نأمل ان يصل العلم يوماً الى غايته ولكننا نلاحظ أن العلم لا يقضي على الصعاب الا ليخلق غيرها . واصبح واضحاً أن الانسانية لن تكون في غنى عن الفن ، وقد أدرك جوته أننا سنكون في حاجة الى ثلاثة أركان نقيم عليها سعادتنا وهي العلم والفن والفعل

وأهم الاسس التي يقوم عليها علم النفس التكاملي تتلخص في الربط بين العوامل الانسانية من نفسية وجسمية واجتماعية ويحاول كل علم التغلب على نوع من الصعاب واعتبر العلم في أغلب الاحيان

مستقلا عن الفن — ويمتاز علم النفس عن سائر العلوم الاخرى باعتباره داخلا في ميدانه .

ولا يقوم الفن بمهمة سلبية فقط بتخفيف الآلام، وليس الفن فرارا من الواقع خوفا من مواجهة الصعاب بل الفن محرك الفكر وباعث النشاط ويوسع الخيال ويفتح آفاقا جديدة للعمل ويضمن حركة مستمرة للنفس فاستطاع الفنانون في كل العصور أن يصلوا الى حقائق خفية للنفس ويقفوا على كنوز يبحث العلم عن طريق الوصول اليها — وما علينا الا ان نلقي نظرة — فيها شيء من التأمل — على لوحة من لوحات ليوناردو فنسي لنشعر بالعمق الذي فاز به هذا الفنان في ادراك بعض الخفايا النفسية التي تعجز قوانين علم النفس عن التعبير عن أدق جزء من أجزائها . توجه ليوناردوفنسي بكل نفسه الى موقف من مواقف نفس مستقلة عن نفسه فاستطاع أن يفتح لنا باباً الى النفس البشرية عن طريق رسم ملامح وجه انساني جميل وكان أبدع ما اكتشفه — وكان اكتشافا خطيرا — هو التعبير عن الحياة المستمرة بالبراعة الكبيرة التي وهبها في رسم الابتسامة وهي في اثناء الظهور والتكون . كأنه ادرك بالفطرة ما توصلت اليه مدرسة « الجشتلت » بعد بحث وتنقيب أن الانسان يحاول دائما أن يكمل الناقص فأن رأى دائرة تكاد تكون مغلقة فانه يميل الى أن يراها مغلقة . فأن رأى خطا مائلا وسط خطوط اخرى مستقيمة فأنه يميل الى ان يراه مستقيما وهكذا استطاع ليوناردوفنسي ان يجد حيلة يربط بها بين القطعة والفنان وأي انسان ينظر اليها . فان تأملت الجوكندا مثلا ورأيت شفتيها اللتين تميلان الى ابتسامة خفيفة أرغمت بحكم الطبيعة الانسانية على مشاركتها وينقلب الرسم الميت الى حقيقة حية ولا تلبث هذه الابتسامة التي يقوم بها الشخص تحت ايحاء الصورة أن تدخل شعورا ملائما لفعل الابتسام فتحرك الصورة النفس بعد تحريكها الشفتين . وهكذا نجد فهم الفنان لحقيقة نفسية فهماحدسيا يجمع بين حقائق نفسية مجتمعة متكاملة كما هي في الطبيعة والحياة الواقعية . ويمكننا اذن ان نقول ان الآثار الفنية المختلفة أحسن وسيلة للوصول الى فهم النفس في تكاملها الطبيعي الحي . وبناء على ذلك تكون الصلة بين علم النفس والفن أعمق مما تصورنا الى الان . فالفن رمز التكامل المقوم للحياة النفسية .

التركيب الجسمي

يكون الفنان في أغلب الاحيان ذا تركيب جسمي معين . فأغلب الفنانين الموهوبين كانوا يشكون اضطرابات جسمية خاصة او عامة . وقد أثبتت التجارب والملاحظات المرضية أن للعاطفة صلة وثيقة بحالة الجهاز السنبطاوي المشرف على الحياة الحشوية في الانسان . وقد لاحظت من قبل أن زيادة الحموضة في المعدة كانت تحدث أرقا كما أنها كانت ترفع من شدة الانفعال والعاطفة . وبقطع النظر عن الاضطرابات الناشئة بعد الولادة قد يكون الفنان بفطرته مصابا بضعف في الاعصاب ويحدث عنده هذا الضعف دقة في الحس والشعور ويكون ذلك الاصل من حاجة الفنان الى اشراك الناس في عواطفه ومشاعره . وكثيراً ما يظهر الاندفاع نحو التعبير تحت ضغط فيضان الاحساس في سن المراهقة . وهذه هي السن التي يكون الجسم فيها في حالة تضارب بين تيارات مختلفة . لنعلم اولا أن نفس البالغ يحدث خللا في التوازن الجسمي لان الجسم بعدما كان يتغذى بكل الغذاء الذي يتناوله الشخص اصبح هذا الغذاء يوزع على الجهازين العصبي الارادة والسنبطاوي ، اذ ابتدأت الغدد التناسلية تتطلب كمية كبيرة من الغذاء . ونشاط الغدد التناسلية في حد ذاته ينشط الجهاز السنبطاوي ويجعله يسيطر على توجيه الجسم والشعور . ولذلك نجد أغلب الحالات النفسية تأثرا بالعاطفة هي الرغبات الجنسية . وقد أثبتت الملاحظة لسلوك الاشخاص الذين تطغى عليهم حالات الحب ويشعرون بانفسهم في حاجة الى العطف على شخص بل أشخاص هم الذين لا يصرفون افراز الغدد التناسلية كما ان احتقان اللبن في ثدي الام يجعلها تشعر بالميل الى الصغار والحنو عليهم ورعايتهم برأفة ورحمة . فاقوى التيارات العاطفية في أغلب الشعراء ظهرت في سن الشباب فالنفس تتبع في اضطرابها وحركتها وهدوئها حالات الجسم . فتجد الرغبات القوية والطموح البعيد والميل الى المغامرات الشديدة والاقبال على الحياة بلهفة وشدة كل ذلك يبعث الشاب على الشعور بحرمان وقلق ويخيل له دائما أن الفراغ يحيط به واذا تأملنا أصل كل هذه التيارات النفسية وجدناها ناشئة عن الحاجات الجسمية الشديدة ويكون الشاب في الحالة التي عبر عنها بالزاك أحسن تعبير اذ قال : الرغبة تحرقنا والقدرة تهدمنا ولكن المعرفة تتركنا في حالة دائمة من الهدوء . وكثيرا ما تنقص الشباب المعرفة ويكون النزاع بين الرغبة والقدرة شديدا وينشأ ما ينشأ عن حاجة الى الشكوى واطلاع الغير عما يجري في نفسه .

شدة الاحساس

ونجد بعض الاشخاص مثل جان جاك روسو ولدوا وهم في حالة من الضعف العصبي تجعلهم دائما في حاجة الى الهدوء . وكثيرا ما

يكون في حالة قريبة من النوم ويكون الانتباه بطيئاً ضعيفاً يقضي كل أوقاته في الاحلام فلا يهتز الا لحالة خاصة وجزئية ولكنه يحس بها بعمق ويسعى دائماً الى الوصول الى أقصى حد في ادراكها وتتبع كل احوالها فيدرك كل ما فيها من جمال قد يخفى على غيره من الناس . ومما يدل على وجود أساس جسمي لهذه الحالات الشعورية هو ظهور هذه الحالات في أغلب الاحيان مقرونة بأزمة جسمية عامة . وقد شاهد صديقي الاستاذ عبد العزيز الاهواني حالة شبيهة بحالة روسو وهذه الحالة التي رواها لي هذا الثقة تمتاز بكونها ظهرت عند سيدة ليست على علم ولم يكن لديها أي المام بالانتاج الفني ومع ذلك فانها كانت تجد رغبة خاصة في النظر الى النيل وكان شرطها الاساسي أن تطيل النظر . ويحكي عنها انها عندما كانت تسكن بجوار النيل فانها كانت تقضي طول الليل مركزة بصرها على سطح ماء النيل الهادىء . وبعد انتقالها من منزلها الاول كانت تتحاشى كل نظرة الى النيل خوفاً من شعور بالقلق ناتج عن عدم الاكتفاء من النظر والتأمل ويروي الاستاذ الاهواني أنها عند زيارة أهلها في بيتهم على النيل كانت تبتعد عن النوافذ المطلة على النيل ولكن أي شيء يمت الى النيل بصلة مثل سماع صفارة باخرة نيلية كان يحدث في نفسها اضطرابا يتجلى في خمول عام وتظهر على جسمها حالة هبوط عصبي وتظل مدة مغمضة العين فاقدة لنصف شعورها . ولوحظ على هذه السيدة ايضاً اتجاه خاص في تقدير الاشياء العادية وادراك نوع من الجمال في اطار مألوف لدى الناس لقد كانت تنظر الى موقد الخبز (الفرن) في الريف فكان بصرها يقف على منظر فتحة الموقد الملتهب بالنور الاحمر للنار .

ويحكى عن جان جاك روسو انه كان من صغر سنه يقضي الساعات الطوال متجهاً نحو جدول ماء يتأمل سطح مائه فلا شك ان باقي الناس ، كانوا يجدون غرابة من موقف الطفل الصغير . وخدمت الصدف هذا الشخص فوجد في المستقبل اداة يعبر بها عما كان يجري في شعوره في هذه الحالات وقال روسو في مقالته : « احلام اليقظة لمتجول وحيد » : عندما كان يأتي المساء ، كنت انزل من اعالي الجزيرة وأميل الى الجلوس على شاطىء البحيرة . على الرمل في اي مأوى مستور ، وهناك كانت اصوات الامواج وهدير الماء تثبت حواسي وتطرد من نفسي كل اضطراب وكانت تغمرها في حلم لذيذ ومراراً فاجأني الليل دون ان اشعر . وقد كان مد هذا الماء وجزره وصوته المتصل المتضخم في فترات يقرع بدون انقطاع سمعي وبصري وكان هذا الصوت يقوم مقام الحركات الداخلية (اي الافكار والعواطف) التي كانت أحلام اليقظة توقظها في . وكان هذا الصوت كافيا ليجعلني اشعر بوجودي شعورا لذيذا دون ان احمل عبء التفكير .

ونجد هذه الحالة عند اغلب الصوفية الذين تضعف أجسامهم من أثر المجاهدة بالجوع والسهر . وفاز ابن الفارض في التعبير عن حالات عجز العلماء عن وصفها وتعريفها . بغيب بعض الاشخاص عن شعورهم تحت تأثير حالات من المرض أو التعب ويكون في حالة قريبة من النوم اذ يفقد كل احساس خارجي وتظل له حاسة واحدة وهي الحاسة الحشوية التي يتوقف عليها الشعور بالوجود فيخيل الى ابن الفارض وغيره من الصوفية أنهم وقفوا على النفس وانهم تخلوا عن الجسم . وهكذا يمكننا أن نجد لكل شعور أدبي بواعث جسمية دفعت الاديب الى نوع من الشعور وطريقة من التفكير ولكل حالة نفسية مهما دقت أساس جسمي يمكن الرجوع اليه لفهمها وتتبع تطوراتها — وقد حاول فرويد في كتابه ليوناردي فانشي فهم البواعث الدفينة للفن — ويمكن اتباع نفس المنهاج لدراسة الاداب وقد حاول البعض فهم شعر بودلير بربطه بحالته الجسمية المرضية . ولا يجوز أن يفهم من هذا ان الفن عبارة عن انحلال مرضي ولكن الشعور الفني حالة نفسية لها ظروفها الجسمية التي تخلقها ولعله يأتي اليوم الذي يمكننا فيه أن نتصرف في الشعور الفني لنزيد فيه وننقص ودراسة عناصر الادب النفسي واسعة النطاق لانها تشمل عالم الجسم بكل تعقداته وعالم الاجتماع بكل تقلباته ولا يسعنا في هذه المقالة الا الاشارة الى هذا الموضوع الفني بالنتائج النظرية والعملية ونأمل الرجوع بتفصيل علمي في مجال اوسع .

القاهرة — ابو مدين الشافعي



ظلال الايام

*

أطوف بالغابر النائي فيحزنني ... أني فرشت طريق الامس اشجانا

وأنْ طويت على غم صحائفه ... وأن مررتُ بحلو العمر أسوانا

وأن شقيتُ وكان السعد يكلؤني ... وأن ضجرت فذقت المر ألوانا

فليت احلامه دامت مناعمها ... وليت طول التشكي منه ما كانا

كأن أصداءه قد خامرت كبدي ... ففجرتنيَ أشواقاً وتحنانا

كأن أعرافه قد ضمخت خلدي ... وأوسعتنيَ أطياباً وريحانا

*

يا فرحة العمر عودي غير آيسة ... وأطمعيني في لقياك احيانا

لعل قلبي وقد هاج الحنين به ... يعيش في غمرة التذكار سكرانا

دمشق ... انور العطار

اختباراتي في مؤتمر سان فرنسيسكو

بقلم الدكتور صبحي المحمصاني

رئيس غرفة في محكمة الاستئناف واستاذ المجلة والقانون الروماني بجامعة بيروت الاميركية

☆

عندما طلب الي المربي الفاضل الاستاذ انيس الخوري المقدسي، رئيس لجنة المحاضرات في الجامعة، ان اعد هذا الحديث، هالني هذا الطلب في بادىء الامر لسببين .

الاول هو ان الموضوع واسع جداً ، اذ انه يجب ان يتناول مسائل شتى ، من غرائب الرحلة ، واخبار المهاجرين العرب في اميركا ، واعمال المؤتمر الطويلة ونتائجه ، وجهود الوفد اللبناني فيه ، والحفلات الرسمية وغير الرسمية التي جرت على هامشه ، وما الى ذلك .

فلا مراء في ان التفصيل في هذه الابحاث يستوعب المجلدات ، هذا بدون التعليق والتعقيب . ولكني ذللت هذه الصعوبة بان قررت الايجاز ما استطعت . فاني لهذا لن اتكلم هنا عن عظمة اميركا ولا عن تقدمها في نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، ولا عن حضارة الشعب الاميركي ، بل اكتفي من ذلك بما كان ذا علاقة بالمؤتمر الدولي الذي نحن بصدده .

وكان السبب الثاني في ترددي ما جاء في نظامنا ، نحن القضاة ، من تحريم الكتابة او الكلام في المسائل السياسية ، حتى ولو كانت هذه المسائل مبنية على نصوص قانونية وكانت حقيقية ظاهرة للناس جميعاً .

والمهم ان الاستاذ المقدسي ذلل هذه العقبة ايضاً ، فاستحصل لي على الترخيص اللازم من وزارة العدل الجليلة . فاصبحت بعد هذا حراً ، اتكلم بصراحة حتى في المسائل السياسية ، ما دمت مسلحاً باجازة العدل ، وما دمت طبعاً احسن النية ولا اخرج عن نطاق هذا الحديث .

تعلمون ، ايها السيدات والسادة ، ان لبنان على اثر اعتراف الدول الكبرى باستقلاله دون قيد ولا شرط ، دعي على هذا الاساس لاول مرة في تاريخه الى الاشتراك في مؤتمر الامم المتحدة . وكان وفد لبنان الى هذا المؤتمر مؤلفاً من رئيسه معالي الاستاذ وديع نعيم ، ومن اعضائه دولة الدكتور عبدالله اليافي ومعالي السيد يوسف سالم وسعادة الدكتور شارل مالك . ولست معرفاً هؤلاء اليكم ، وكلهم اشهر من نار على علم . وقد كان لي شرف الاشتراك بهذا الوفد كمستشار قانوني .

قطعنا المسافة بين بيروت ونيويورك في ثمان وثلاثين ساعة ، اي اننا اجتزنا القارة الافريقية والمحيط الاطلسي بما يقارب اليوم والنصف ، وذلك على متن طائرة اميركية حربية جبارة كانت مثالا للراحة والطمأنينة .

واني ابتسم في نفسي كلما ذكرت تلك المحاضرة الطريفة ، التي القاها علينا احد الضباط في مطار الدار البيضاء (كازا بلانكا) اذ شرح لنا طرق الوقاية والنجاة بحال سقوط الطائرة فوق البحر ، لا سمح الله ، وارشدنا الى فن صيد السمك لاجل اكله عند الضرورة ، وعلمنا اصول تقطير المياه المالحة لاجل شربها عند شدة العطش . ونحن نحمد الله تعالى انه لم يطرأ علينا ما احوجنا الى امتحان هذه المعلومات والفنون .

نزلنا في العالم الجديد . فاطل علينا تمثال الحرية الشهير في تلك الربوع ، الربوع التي يعرف الناس فيها معنى الحرية الحقة . وظهرت نيويورك ، تلك المدينة الضخمة ، حيث كل شيء فيها يساير حجمها وضخامتها . فالبنايات تناطح السحاب . منها مثلا بناية « امباير ستايت بلدنغ » ، فهذه مؤلفة من مائة طابق وطابقين ، وفيها سبعة وستون مصعداً ، ويقال انه يدخلها يومياً ما يقارب جميع سكان مدينة بيروت . وهذه هي البناية التي يشاع انها ستكون المقر الموقت لهيأة الامم المتحدة .

ومنها الفنادق الكبرى ، التي يتألف بعضها من ثلاثة آلاف غرفة ، اي ان يزيد الواحد منها على ضعفي جميع فنادق بيروت

نص المحاضرة التي القاها الدكتور صبحي المحمصاني في ٢٥ شباط بجامعة بيروت الاميركية .

مجتمعة . وكذلك صحفها ، فان بعضها ، برغم تصغيرها بسبب قلة الورق في الحرب، كانت تصدر يومياً باربعين صفحة كبيرة . وهكذا قل عن باقي ما تشاهده . فهو كله يدل على العظمة والتقدم ، ويدل بوجه خاص على رقي الهندسة الاميركية .

وبعد استراحة يسيرة في نيويورك ، تابعنا الرحلة. فقطعنا القارة الاميركية الى اقصى غرب الولايات المتحدة، الى محط رحالنا ومحط انظار الامم المتحدة وقبلة آمالها ، سان فرنسيسكو .

سان فرنسيسكو مدينة هادئة رائعة الجمال ، تقع بين شاطيء المحيط الهادي من الغرب وبين خليج فسيح من الشرق . وهذا الموقع جعل منها شبه جزيرة ساحرة في مناظرها ، ومعتدلة في طقسها اعتدالاً متصلاً خلال جميع فصول السنة . ومن عجائبها التي زادت في جمالها الطبيعي بناؤها على تلال وربى عديدة ، جعلت منها اقساماً متباينة، ظاهرة التباين، في الارتفاع والانخفاض .

ويربط هذه المدينة بالناحية المقابلة على الخليج جسران ، هما اكبر جسور العالم . احدهما جسر الباب الذهبي ، والثاني جسر الخليج الذي يصل سان فرنسيسكو بمدينة اوكلاند . وهذا الثاني ذو طابقين، وطوله ثمانية اميال ونصف، اي ما يقارب المسافة بين بيروت وعاليه .

ويبلغ عدد سكان سان فرنسيسكو في ايام السلم حوالي ثلاثة ارباع المليون . ويمتاز هؤلاء باختلاف جنسياتهم . فهم مزيج من الجاليات الاميركية والاجنبية او التي هي من اصل اجنبي . فلذا نرى فيها الاحياء المختلفة، وما يستتبع ذلك من اختلاف في المحلات والمطاعم الخاصة وما اشبه . وليس من رواد تلك المدينة مثلاً من يجهل مطعم عمر الخيام الشهير وما يجد فيه من طعام شرقي شهي .

فجميع هذه المظاهر ـــ موقع طبيعي جميل ، وطقس معتدل ، وثقافة مطعمة بل مصهورة من شتى العناصر والثقافات ، وتوافر اسباب الراحة والسكنى ، وتوسط موقع هذه المدينة الجغرافي بين اقصى الغرب واقصى الشرق ، هذا الموقع الذي جعل منها نقطة ارتكاز هامة في المواصلات العالمية ونقطة حيوية في حرب الباسفيك الذي كان قبلة الانظار آنئذ — كل هذه المظاهر والاسباب جعلت مدينة سان فرنسيسكو خير مركز لمؤتمر الامم المتحدة .

هذه هي المدينة التي قصدنا اليها . فوصلناها في الرابع والعشرين من نيسان الماضي ، اي قبل افتتاح المؤتمر بيوم واحد . ونزلنا في المحلات التي حجزت لنا في فندق « مارك هوبكنز » الواقع على رابية « نوب هيل » العالية .

ولا تسل عن فضول بعض الاهالي هناك، وتهافتهم على الوفود، بغية مشاهدتهم او اختطاف امضاء منهم، على الطريقة الاميركية،



بعض اعضاء الوفود العربية في سان فرنسيسكو ، يتوسطهم الامير فيصل رئيس الوفد السعودي ، وعن يمينه الاستاذ فارس الخوري رئيس الوفد السوري فالاستاذ نعيم الانطاكي عضو الوفد السوري . وعن يساره الاستاذ وديع نعيم رئيس الوفد اللبناني فالاستاذ يوسف سالم عضو الوفد اللبناني ويظهر من اليسار بين الوقوف الدكتور صبحي المحمصاني كاتب هذا المقال ، فالاستاذ احمد عبد الجبار سكرتير الوفد السعودي . ويظهر الى اليمين الاستاذ عبدالله اليافي عضو الوفد اللبناني

لاجل جمعه كشيء تاريخي ثمين .

ولا تسل مع ذلك عن تهذيب الاهالي الرفيع ، وعن اخلاقهم الوديعة الحسنة ، وعن حبهم تكريم هؤلاء الضيوف من الوفود ، ومساعدة الحكومة والبلدية على تأمين راحتهم ورفاهيتهم .

ومما لفت نظرنا هناك وجود العلم اللبنـــاني القديم في بعض المراكز . فبذلنا المساعي اللازمة لاستبدال العلم الجديد به . فحل بذلك علم الاستقلال مكان علم الاستعبـــاد والاستعمار ، ورفرف علمنا عالياً بين اعلام الدول الاخرى عـــلى قدم المساواة والحرية والكرامة .

والان نصل الى المؤتمر نفسه . ونحن اذ نذكره نقرن به ولا شك تلك الفكرة السامية التي بني عليها . وهي فكرة التعاون الدولي لاجل اقرار العدل الشامل والسلام العالمي ، تلك الفكرة النبيلة التي بنيت عليها عصبة الامم القديمة ، والتي ظهرت في حلة جديدة ونشطت بقوة فعلية ابان الحرب العالمية الثانية . وكان من اثرها تضامن الحلفاء في مجهودهم الحربي وفي مؤتمراتهم العديدة ، التي بدأت بميثاق الاطلسي ، وتأيدت بتصريح الامم المتحـــدة ، وبمؤتمرات الدار البيضاء وكويبك وموسكو والقاهرة وطهـــران وغيرها ثم انتهت وتبلورت في مؤتمري دمبارتون اوكس ويالطا .

ومعلوم ان الغايات والمبادىء التي بني عليها مؤتمر سان فرنسيسكو قد وضعت في المؤتمر المنعقد في محلة دمبارتون اوكس ، قرب وشنطون ، من آب الى تشرين الاول من سنة ١٩٤٤ ، بين الدول الكبرى ، الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وروسيا والصين . ثم تلا ذلك مؤتمر يالطا ، الذي انعقد في شباط الماضي بين الاقطاب الثلاثة روزفلت وتشرشل وستالين ، هذا المؤتمر الذي اتم مقترحات دمبارتون اوكس في مسألة اصول التصويت ، وعين لانعقاد مؤتمر الامم المتحدة تاريخه ومكانه .

وكانت غاية مؤتمر سان فرنسيسكو وضع ميثاق الامم المتحدة وتدوين الدستور الدائم للمنظمة الدولية ، التي سيعهد اليها بالمحافظة على الامن والسلم في العالم .

افتتح المؤتمر في الخامس والعشرين من نيسان الماضي في دار الاوبرا . وكان الاجتماع غاصاً باعضاء الوفود الذين ، وان تباينوا في الظاهر بهيئاتهم وبزاتهم وحركاتهم ولهجاتهم ، الا انهم كانوا متحدين في تآخيهم وآمالهم ، وفي هذه الشارة المذهبة التي علقت على صدورهم رمزاً لعضوية المؤتمر .

وكان فوق اعضاء الوفود والملحقين ، الذين قـــارب عددهم الالفين ، جيش من الصحفيين والمصورين والمشاهدين . ولا غرابة



فندق « مارك هوبكنز » الذي نزل فيه اعضاء الوفد اللبناني

في ذلك ، فعدد المراسلين الصحفيين في هذا المؤتمر قارب الثلاثة الاف . ولا يدخل في هذه الارقام طبعاً موظفو امانة سر المؤتمر ، الذين ناهزوا الالف ، ولا موظفو المراقبة والمحافظة من العساكر والمتطوعين والمتطوعات ، الذين لم يقلوا عن الاربعة الاف ونصف .

وان هذا الحشد العظيم قد اجتمع في دار الاوبرا ، لا ليشاهد كالعادة تمثيل رواية خيالية ، ولكن ليشهد تمثيل رواية تاريخية حقيقية . ولذا كان يرقب هذا الحدث الكبير بشوق وحماس ، وقلبه ينبض بالحياة والامل ، رغم ما في ذلك من مجهول ومكتوم . بل ربما كان ذلك مظهراً من مظاهر حب المجهول نفسه او حب الشيء الذي يلبس كثيراً من الاسماء الجذابة ، والذي يكون له دائماً وقع عميق في نفوس الناس جميعاً ، اينما كانوا وحيثما وجدوا .

كانت حفلة الافتتاح وما تلاها من جلسات عـــامة مخصصة للاستماع الى خطب رؤساء الوفود . فقد تعاقب هؤلاء ، ومنهم الشخصيات العالمية البارزة ، كايدن وستاتينيوس ومولوتوف وسونغ وماكنزي كنغ وبيدو وفرايزر . وكان يترأس هذه الجلسات على

التتابع رؤساء وفود الدول الداعية الاربع ، وهي الولايات المتحدة والصين وروسيا وبريطانيا العظمى .

واني لن الخص ما قاله الخطباء . ولن اسرد تلك الجمل الرنانة ، التي حملت كثيراً من البلاغة والمعاني والحماسة . ولن اصور ذلك الصراع الظاهر بين الدول الكبرى ، وهي تجاهر بامتيازها في الحقوق لقاء تكبدها الواجبات والمسؤوليات الجسام ، وبين الدول الصغيرة ، وهي تناقشها في ذلك وتطالبها بالعدل والمساواة في السيادة والحقوق . فتفصيل كل ذلك يستغرق مني الحديث الطويل .

على اثر الجلسات العامة التمهيدية انقسم المؤتمر الى لجان عامة ولجان فنية . فاللجان العامة اربع : لجنة الادارة واللجنة التنفيذية ولجنة التنسيق ولجنة وثائق التفويض .

واللجان الفنية عددها اثنتا عشرة . وهي قد اقتسمت مواضيع المؤتمر فيما بينها ، وقامت بالعمل الفني الطويل . فصارت تعقد اجتماعاتها ليل نهار بدون انقطاع ، في قاعات رحبة خاصة من البناية التذكارية للمحاربين القدماء المجاورة لدار الاوبرا .

وكان عدد الدول المشتركة في المؤتمر ستاً واربعين في باديء الامر ، ثم اصبح خمسين في اثناء انعقاده بعد دخول الارجنتين واوكرانيا وروسيا البيضاء والدانمرك . وكان لكل دولة ان ترسل مندوباً عنها الى كل من اللجان الفنية . فالوفود الكبيرة كانت مرتاحة من هذا القبيل . واما الوفود الصغيرة ، ومنها وفد لبنان ، فكانت مضطرة الى ان تخصص مندوباً واحداً لعدة لجان . ولذا كان لي شرف تمثيل لبنان في لجان ثلاث ، وهي لجنة محكمة العدل الدولية ، ولجنة المسائل القانونية ولجنة عضوية مؤسسة الامم المتحدة .

وقد تناوب الرئاسة ووظيفة المقرر في كل من هذه اللجان مندوبو الدول المختلفة . وكانت الانكليزية والفرنسية لغتي العمل في المؤتمر ، وكانت اللغات الروسية والصينية والاسبانية من اللغات الرسمية ايضاً .

وقد دامت اعمال اللجان مدة شهرين ، وعقد اثناءهما ثلاثمائة جلسة ونيف . وكانت المناقشات فيها طويلة ومملة احياناً ، وكانت حامية حماسية احياناً اخرى ، لا سيما في مسائل حقوق الدول الكبرى ، واصول تعديل الميثاق ، والتحكيم الاجباري ، والوصاية الدولية ، واختصاص مجلس الامن .

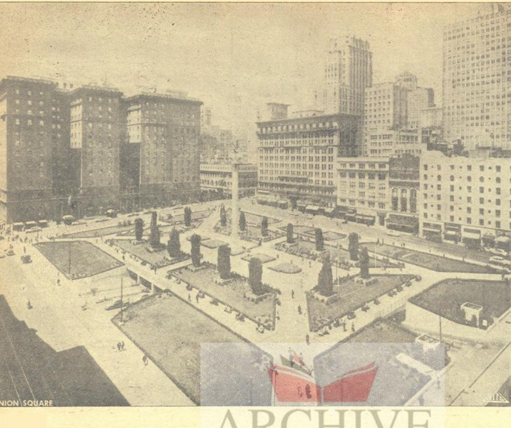
وكان اساس العمل في المؤتمر مشروع دمبارتون اوكس ، وما جاء بشأنه في مؤتمر يالطا ومشروع مؤتمر الفقهاء المنعقد في وشنطون والمتعلق بمحكمة العدل الدولية . وكان اساس العمل ايضاً مقترحات التعديل المقدمة من الدول المختلفة ، والتي بلغت وحدها مجلداً ضخماً .

ومن هذه المقترحات ملاحظات الوفد اللبناني ، التي تتعلق بوجه عام بوجوب بناء السلم والامن على اساس العدل الحقيقي ، وبوجوب تقوية التضامن الثقافي والفكري بين الدول ، وباقتراح وضع مسألة تدوين القانون الدولي بين غايات المنظمة الدولية . وهذه الملاحظات قدمتها ايضاً دول اخرى عديدة ، وكان لها نصيب من النجاح ظاهر في نصوص الميثاق .

كانت ثمرة مؤتمر سان فرنسيسكو تدوين ميثاق الامم المتحدة ونظام محكمة العدل الدولية . فالاول يتألف من مائة واحدى عشرة مادة والثاني يتألف من سبعين مادة .



منظر عام لمدينة سان فرنسيسكو



ساحة الاتحاد في سان فرنسيسكو

•

وهذا الدستور الدولي الجديد ينص على ان شعوب الامم المتحدة قد عقدت العزم على انقاذ الاجيال المقبلة من ويلات الحرب، واعلنت ايمانها بحقوق الانسان الاساسية وبكرامته وقيمة انسانيته واعلنت ايضاً ايمانها بالمساواة في الحقوق بين الناس رجالا ونساءً وبين الامم كبيرها وصغيرها، واتفقت على تهيئة سبل الرقي الاجتماعي والاقتصادي .

فلذا وضع الميثاق بين اولى غاياته حفظ السلم والامن الدوليين، وتنمية العلاقات الودية بين الامم على اساس احترام مبدأ المساواة بين الشعوب وحقها في تقرير مصيرها، وتحقيق التعاون بين الدول في حل مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والانسانية، وذلك بتنمية احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية وتأييدها للناس جميعاً من غير تمييز بين العناصر واللغات والاديان .

وينص ميثاق الامم المتحدة على تنظيم جمعية عمومية، ومجلس امن، ومجلس اقتصادي واجتماعي، ومجلس وصاية، ومحكمة عدل دولية، وامانة سر . ولا شك في ان شرح كل هذه الهيئات والامور يحتاج الى وقت طويل، ولا يسمح لنا هذا المجال بتفصيله لذا اكتفي منه بكلمة عامة سريعة .

فالجمعية العمومية تشكل شبه برلمان دولي . وهي تتألف من جميع اعضاء الامم المتحدة، ولكل عضو منها صوت واحد . وللجمعية بوجه عام ان تبحث في جميع المسائل والقضايا الداخلة في نطاق الميثاق، وهي تتلقى التقارير والموازنة السنوية . فتعقد لذلك دورة عادية واحدة في السنة، وما تقتضيه الاحوال من دورات استثنائية .

اما مجلس الامن، فيتألف من احد عشر عضوا من اعضاء المنظمة . وان الدول الكبرى اي الولايات المتحدة واتحاد السوفيات وبريطانيا العظمى وفرنسا والصين، تعتبر اعضاء دائمين . وان باقي الاعضاء ينتخبون لمدة سنتين من قبل الجمعية العمومية . وقد انتخبت مصر مؤخراً من ضمن هؤلاء .

ولاجل تأمين عمل المنظمة السريع الفعال، خول مجلس الامن التبعة الرئيسية في حفظ السلم والامن الدوليين . وتصدر قراراته في المسائل المتعلقة باصول العمل بموافقة اي سبعة من اعضائه، وتصدر في سائر المسائل بموافقة سبعة اعضاء شرط ان يدخل فيهم جميع الاعضاء الدائمين . وهذا الامتياز في التصويت المعطى للدول الكبرى يسمى حق النقض (Veto)، لانه يعطي كل واحدة منها حق نقض قرارات المجلس بعد الموافقة عليها . وقد رأينا مؤخراً تطبيق هذا الحق من قبل الاتحاد السوفياتي بشأن القرار الذي اصدره مجلس الامن في قضية جلاء الجيوش الاجنبية التي اثارتها سوريا ولبنان في دورة المجلس الاولى التي عقدت في لندن مؤخراً .

وكذلك تنتخب الجمعية العمومية المجلس الاقتصادي والاجتماعي .

وهو مؤلف من ثمانية عشر عضواً ،لمدة ثلاث سنوات، ويتغير ثلثهم كل سنة . ومعلوم ان لبنان قد انتخب مؤخراً عضواً في هذا المجلس .

ويتألف مجلس الوصاية من الدول الكبرى الخمس . ومن الاعضاء المكلفين بادارة اقطار الوصاية ، ومن اعضاء آخرين تنتخبهم الجمعية العمومية لثلاث سنوات بالعدد الذي تقتضيه الحاجة . ويطبق نظام الوصاية على الاقطار التي لا تزال تحت الانتداب ، والاقطار التي يمكن ان تقطع من دول عدوة بنتيجة الحرب العالمية الثانية، والاقطار التي تضعها تحت الوصاية دولة مسؤولة عن ادارتها بمحض اختيارها .

وان امانة السر تتألف من امين عام ومن الموظفين الذين تحتاج اليهم المنظمة . وتعين الجمعية العمومية الامين العام ، بناء على توصية مجلس الامن . وهو اعلى موظف في المنظمة . وقد انتخب مؤخراً وزير خارجية النروج السيد لي اول امين عام .

اما محكمة العدل الدولية ، فلها نظام خاص . وهي تشكل الهيأة القضائية الرئيسية للامم المتحدة . وتتألف من خمسة عشر قاضياً تنتخبهم الجمعية العمومية ومجلس الامن من لائحة مرشحين تنظم حسب شروط معينة ، وذلك لمدة تسع سنوات على ان يتغير ثلث الاعضاء كل ثلاث سنوات . وقد عينت مدينة لاهاي مركزاً للمحكمة كما كانت في السابق .

ولا بد من الاشارة الى اهم الامور الجديدة في الميثاق ، بالقياس الى ميثاق عصبة الامم القديم . فالميثاق الجديد اعطى الدول الكبرى امتيازاً خاصاً في عضوية مجلس الامن وفي التصويت فيه ، واعطى مجلس الامن سلطة خاصة لاستعمال القوة المسلحة في حالات تهديد السلم والاخلال به ووقوع العدوان عند فشل التسوية السلمية . وهذا بلا ريب نصر جديد من هذه الناحية ، لانه يقوي سلطة المؤسسة الدولية ويحمي القانون الدولي .

اما امتياز الدول الكبرى ، فتبرره على ما علموه مسؤولية هذه الدول في المجهود الحربي ، وتقابله مساهمتها الكبرى في الشرطة الدولية . وان الدول الصغيرة ، التي حاولت عبثاً المعارضة في ذلك لابد من ان تعترف بأن السياسة العالمية لايمكن ان تبنى على النظريات فحسب ، بل انه ينبغي ان ترتكز ، مع الاسف ، على الحقائق العلمية الواقعية ، وان تسوى بالتساهل المتبادل المفيد .

والمهم من ميثاق الامم المتحدة، من جهة سوريا ولبنان، مادتان ثمينتان صريحتان . احداهما المادة الثالثة التي اعتبرت كل الدول الموقعة على الميثاق او على تصريح الامم المتحدة من الاعضاء الاصليين، فبمقتضى هذه المادة اصبح لبنان حتماً في عداد اعضاء المؤسسة الدولية .

والمادة الثانية هي المادة الثامنة والسبعون التي نصت على ان نظام الوصاية، الذي حل محل نظام الانتداب القديم البغيض، لن يطبق على البلاد التي اصبحت من اعضاء الامم المتحدة، ونصت على انه يجب ان تقوم العلاقات بين هذه الامم على احترام مبدأ المساواة ذات السيادة .

وفوق ذلك، توجد في الميثاق نصوص اخرى تتعارض والمراكز الممتازة والاحتلالات العسكرية . فالمادة الثالثة والاربعون اشترطت ان تكون مساهمة اعضاء الامم المتحدة في حفظ السلم والامن الدوليين مبنية على طلب مجلس الامن، وعلى مفاوضات واتفاقات خاصة تبرم وفاقاً للقواعد الدستورية .

وهذا ينفي بصراحة ان يكون لاحدى الدول حق الادعاء بحفظ السلم والامن في بلد من البلاد المستقلة ، دون واسطة مجلس الامن ، ودون موافقة هذا البلد . ويؤيد ذلك ايضاً ويوضحه ما جاء في المادة الثانية والثمانين من الميثاق من ان المناطق الحربية الستراتيجية لا تشمل الا البلاد الواقعة تحت الوصاية الدولية .

فهكذا اصبح لبنان ، باعتراف خمسين دولة ، ومنها الدول الكبرى جميعاً ، مستقلاً حراً من كل قيد ، فرض او سيفرض عليه فرضاً ، واصبح عضواً اصيلاً في اسرة الامم على اساس المساواة التامة والكرامة الكاملة . ولم يعد ينتظر بعد هذه الصراحة تفسيراً ولا تأويلاً ولا منة من احد على الاطلاق ، لان الدول ، التي تشعر او تزعم بانها كبيرة بالقياس الى الدول الصغيرة ، لم تعد الا صغيرة بالقياس الى الدول الكبيرة الحقيقية ، وبالقياس بوجه خاص الى الدول كلها مجموعة في كيان الامم المتحدة .

ثم يسرني ان انوه بالدور المهم الذي قامت به المرأة الاميركية في ميدان العمل والتعاون مع الرجل في امور الحياة اثناء هذه الحرب . فكنا نراها تقوم بجميع انواع الاعمال، اللطيفة منها والخشنة، حتى ان سوق السيارات العمومية في سان فرنسيسكو كان وقفاً على النساء .

وكذلك كانت النساء من المندوبات في بعض وفود الامم المتحدة . وقد جاهدت هذه المندوبات في اثناء مناقشات المؤتمر ، حتى فُزن بتصريح صريح في مقدمة الميثاق الدولي يعلن ايمان شعوب الامم المتحدة بمساواة المرأة والرجل ، وفزن بتدوين نص يضمن لهن هذه المساواة في وظائف المؤسسة الدولية .

وكان من بين النساء المندوبات عميدة كلية بارنارد الشهيرة بنيويورك ، السيدة فيرجينيا جلدرزليف ، التي اقامت حفلة تعارف وتكريم لاعضاء الوفود والملحقين ، الذين تخرجوا من الجامعات او الكليات الاميركية في الشرق الادنى .

والان، قبل ان اتعرض لحفلة ختام المؤتمر والخلاصة هذا الحديث، اود ان اروي لكم طائفة من الذكريات التي تركتها في ذهني بعض الاجتماعات بفريق من رجال القانون والقضاء في كاليفورنيا، اثناء انعقاد مؤتمر الامم المتحدة.

فاول هذه الذكريات حفلة نقابة المحامين وجمعيات رجال القضاء والقانون، التي اقيمت على شرف القضاة والمحامين من اعضاء الوفود المختلفة الى مؤتمر الامم المتحدة. وهي حفلة عشاء في قاعة فندق بالاس الرحبة، تجلت فيها مظاهر الكرم والحفاوة، وامتازت بزبدة من الخطب الرائعة، من امثال بول بونكور وغيره.

ومن مظاهر حفاوة الاميركان ايضاً حفلة التكريم اللطيفة، التي احياها المدعي العام على شرف المستشارين القانونيين من وفود الامم المتحدة في مكتبه الوسيع في دار الولاية.

ثم لا بد من التلميح الى ان مؤتمر سان فرنسيسكو كان حافزاً على الحركة التي قامت بقصد تأسيس جمعية دولية لرجال القانون، تضم ممثلين عن القضاة والمحامين واساتذة القانون من جميع الامم المتحدة. وغايتها التعاون بين رجال القانون لتأمين نجاح منظمة الامم المتحدة، والنظر في مصالح حرف رجال القانون في العالم، والمحافظة على القانون الدولي، والسعي لتحسينه، وتشكيل اداة تقرب المناهج القانونية المختلفة فيما بين شعوب الامم المتحدة ورجال القانون فيها، وتبادل العلماء، والطلاب والمطبوعات بين فقهاء الامم جميعاً، وتأسيس علاقات دائمة من التآخي والاتصالات الشخصية بين ارباب الحرفة في الامم المختلفة.

وقد حصل لهذه الغاية اجتماع تمهيدي، حضره مؤسسون من دول الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى واتحاد السوفيات والصين، وتشاوروا في الخطط الرئيسية.

ثم تلاه اجتماع آخر بعد انتهاء المؤتمر بيوم واحد في دار المدعي العام، دعي اليه بعض رجال القانون من الوفود. فحضرته مع دولة الاستاذ اليافي من اعضاء الوفد اللبناني. فتبادل الحاضرون بعض اوجه النظر، وقرروا تعيين لجنة تحضيرية لاجل متابعة الاجتماع في وشنطون وتحديد اسس هذا المشروع العملية.

هذه غاية نبيلة ولا شك، لانها تساعد على توحيد الاتجاهات الفكرية، وترمي الى التقارب بين الامم والى تغذية روح السلام العالمي. فنرجو ان لا تتطرق السياسة الى هذه الحركة المجيدة، فتفسدها. ونرجو ان تتكلل مساعيها بالنجاح، حتى يساهم علم الفقه ورجاله في بناء العدل العالمي وفي نصرة الخير العام.

وبعد، اريد بهذه المناسبة ان احدثكم بفخر عن اختباراتنا المسرة، التي كانت لنا على هامش مؤتمر سان فرنسيسكو مع المهاجرين اللبنانيين والسوريين في اميركا وهم يؤلفون جالية من ارقى الجاليات الناجحة هناك سواء بمركزهم المادي ام بمكانتهم الادبية.

وهؤلاء، على صدق اخلاصهم نحو وطنهم الجديد، كما اثبتوا ذلك بتطوعهم في الجيش الاميركي خلال هذه الحرب وبمناسبات اخرى، هؤلاء لايزالون حافظين الحب والحنين الى وطنهم الاول والى امتهم الام. فهم لا يزالون يشغفون باخبار هذه البلاد العزيزة ويهتمون باحوالها وحوادثها، ويطربون لموسيقاها ولذكراها.

واني لاذكر دائما حفاوتهم بالوفد اللبناني وبباقي الوفود العربية وتكبدهم الاسفار من اقصى الولايات في سبيل الحضور لاجل التعرف اليهم والتسليم عليهم، ولاجل التقاط اخبار بلادهم الاولى واخبار اصدقائهم وذويهم فيها.

وان انس فلست ناسياً تلك السيدة الدمشقية، المقيمة بجوار النهر الروسي في كاليفورنيا، التي بلغت الشيخوخة في اميركا، والتي ما كادت تعرف بقدوم الوفد اللبناني الى تلك البقاع حتى هجمت تعانق اعضاءه وتبكي فرحاً وحنيناً الى مسقط



البناية التي ينتظر ان تكون المقر الموقت لمنظمة الامم المتحدة

رأسها وابناء قومها وعشيرتها .

ومما لفت نظرنا عند بعض المهاجرين اللبنانيين انهم لايزالون يتكلمون عن انفسهم أحياناً باسم السوريين . فلذا اضطر اعضاء الوفد اللبناني الى افهامهم الحقيقة بان لبنان اليوم ، وان كان متآخياً مع شقيقته سوريا الا انه مستقل عنها عزيز موفور الكرامة .

ومما يستحق الفخر والاعتزاز ما لمسناه من تضامن المهاجرين ، والتفافهم حول بعضهم بعضاً ، وعدم تفريقهم بين المسلم والنصراني وبين السوري والمصري واللبناني ، وتفاخرهم بعروبتهم في وقت كادت العروبة فيه ان تضيع في اوطانها .

واخيراً لابد من التنويه بتلك الغضبة المضرية ، التي هب بها المهاجرون أثناء حوادث سوريا ولبنان الدامية الاخيرة . ولا بد من الثناء على ذلك الاحتجاج الصارخ ، الذي اظهروه باجتماعاتهم وصحفهم ونداءاتهم وبرقياتهم ، انتصاراً لقضية بلادهم الحقة العادلة .

وقد قام ابناء العرب المهاجرون في كاليفورنيا الشمالية حفلة عشاء على شرف الوفود العربية جميعاً ، دون تمييز او تفريق بينهم ، حفلة حافلة ، كانت ولا شك من ليالي العمر الفريد . فقد توجت الدعوة بهذه الكلمة العربية الحلوة « اهــلا وسهلا » ، وتوجت بقصيدة بليغة عنوانها « اذكرونا »

نعم ، نحن ذاكرون لهم ، وسنظل ذاكرين لهم ولتلك الحفلة النادرة ، المليئة بالخطب الحماسية ، والتي ترجمت عن روح عربية صحيحة ، تجلت فيها بأروع مظاهرها . وسنظل ذاكرين بوجه خاص الكلمة الاستاذ العلامة فيليب حتي ، الذي ابدع فيها احسن الابداع فذكّر بفضل العرب على الغرب ، وذكر بتاريخ العرب المجيد ، على غير تفريق بين عناصره او مذاهبه . ولا شك في ان كل ذلك ترك في نفوسنا اطيب الاثر ، وملأ قلوبنا بالحبور والاعتزاز .

ولم يكن هذا الاحتفال وحيداً . بل تكررت الاحتفالات بين المهاجرين وبين وفود الدول العربية . فكانت هذه خير وسيلة للتعارف المتبادل ، ولتقوية اواصر المحبة والصداقة والاخوة بين ابناء العرب في تلك الديار النائية .

والآن ، بعد ان رويت هذه الاختبارات التي مرت على هامش مؤتمر سان فرنسيسكو ، اود ان اعود بكم الى اخبار المؤتمر وان اختم محاضرتي بوصف حفلة الختام .

كان ذلك بعد ظهر السادس والعشرين من حزيران الماضي في دار الاوبرا ، بعد ان تمت في الصباح حفلة توقيع الميثاق الرسمية في دار المحاربين القدماء .

كان الازدحام شديداً ، وكان مرأى ذلك يثير في النفس روعة وجلالاً . وقد تتابع الخطباء ، كل يخطب بلغة بلاده . فبدأ رؤساء وفود الدول الكبرى ثم تلاهم رؤساء بعض وفود الدول الصغيرة . ومن بين هؤلاء سمو الامير فيصل آل سعود ، الذي وقف بألبسته العربية الجميلة وبوجهه العربي النبيل وبلغته العربية العذبة ، والقى خطاباً كان له في نفوسنا وقع ساحر . عاشت هذه اللغة وعاش ابناؤها !

وقد كان مسك الختام خطاب فخامة الرئيس ترومان ، الذي رجا ان يكون بناء الميثاق الجديد قد توطد على اساس متين ، ورجا ان لا نضيع هذه الفرصة السانحة لتحكيم العقل في العالم ولانشاء سلم دائم تحت رعاية الله تعالى .

وكان خطابه مثلاً آخر من الامثلة التي لمسناها عن تلك الروح الصريحة المخلصة التي يتحلى بها الشعب الاميركي ، وعن حب العمل والتضامن نحو المثل الانسانية العليا ، التي بنيت عليها عظمة هذا الشعب ، وتقدمه في العلوم ، واصالته في تفهم معنى الحياة العصرية ومعنى الحريات الدستورية الحقيقية .

ولا مراء في اننا ، نحن ابناء العروبة ، قد تذوقنا في هذا المؤتمر طعم الاستقلال ولذته ، وشعرنا بتضامن الدول العربية ، وبتماسكها فيما بينها ، وبتفاهمها في دراسة المسائل المشتركة . فجاء هذا دليلا على يقظة العرب ، وعلى حيوية الجامعة العربية ، وعلى فائدتها في تدعيم استقلال اعضائها .

ولقد شاهدنا الشعوب الديموقراطية جميعاً تنهي عملها بنجاح . فنحن نعلق الآمال الكبيرة على هذا الدستور الانساني الجديد ، الذي يضمن المساواة بين الشعوب ، ويؤيد حقها في تقرير مصيرها ، ويقف حائلا دون التعدي والاستغلال . فنرجو ان ينفذ باخلاص وبنية حسنة ، حتى نعيش وغيرنا بطمأنينة وسلام ، وحتى نعيد ماضي عزنا ومجدنا وسؤددنا .

ولكن ، لا ينبغي ان نعول على هذا الميثاق فحسب ، لان المواثيق لا تبني عالماً جديداً ، ولا تؤسس دولاً محترمة . بل ينبغي ، فوق ذلك ، ان نأتي بروح جديدة لهذا العالم المتجدد ، وان نعد لانفسنا العدة الكافية ، حتى نثبت للعالمين كفاءتنا للاستقلال ، وحتى تمخر سفينتنا في بحر الحاضر الزاخر ، متينة ، صامدة لعواصف هذه الحياة ، فنسير قدماً الى المركز العالي الذي يتفق مع تاريخنا المجيد وآمالنا الكبيرة .

صبحي المحمصاني

اللانهايــــة

رحلة الى عالم المجهول

بقلم نقولا حداد



هو الوجود ؟

هو مادة ذات حجم ، تشغل حيزاً في الفضـــاء ، وتتحرك في الزمان . والحيز هو المساحة المجسمة ذات ابعاد ثلاثه يملأها حجم المادة . فلا نهاية لتجزئة المادة . ولا نهاية للفضاء . ولا نهاية للزمان .

وما لا نهاية له لا بداية له أيضاً . لا اول له ولا آخر

هذا تعريف منطقي للوجود المادي . عندنا فيه ثلاثة لانهايات : مادية ، ومكانية ، وزمانية .

جميع الاجرام السماوية من نجوم وسدم ، وارضنا منها متكونة من هذه المادة وهي تشتمل على عناصر كعناصر ارضنا . وربما وجد في بعضها عناصر ليس مثلها في ارضنا . وانما يقال ، بالاجمال انها جميعاً من طينة واحدة ومن اصل واحد سموه هيولى .

ونحن لا نعرف وجوداً آخر غير هذا الوجود المادي . ولا نحس بحواسنا او بواسطة آلاتنا الرصدية وغيرهـــا بوجود آخر غيره .

واذا كان ثمت وجود روحي فليس لنا دليل حسي عليه ولهذا لا شأن لنا به . اي هو خارج عن دائرة بحثنا هذا .

هذا الوجود المادي الشامل جميع الاجرام يشغل حيزاً محدوداً في الفضاء .

واعني بقولي « محدوداً » ان له حجما كروياً محسوباً ذا ثلاثة ابعاد طول وعرض وعمق . وبعد هذا الحجم المادي او حوله فراغ لا نهاية له لولا هذه المادة التي تملؤ حيزا معلوما لما كان ثمت فضاء البتة . لا يكون الا العدم لاننا اذا تصورنا انفسنا مجردين من كل شيء الا العقل الذي يتخيل ويتصور ثم تصورنا جميع هذه الكائنات المادية غير موجودة او انها مفقودة من الكون فلانعود نستطيع تصور الفضاء بتاتا في خيالنا . اي لا يبقى الا العدم . لا نستطيع ان نتصور فضاء فارغا الا اذا تصورناه معه فسحة مملوءة والا فيزول المكان Space او الفضاء من خيالنا . فمادة الاجرام خلقت المكان او بالاحرى اوجدت الفضاء في يقيننا

قد يصعب عليك هـذا التصور ولـــكن متى خلوت بنفسك وراجعت هذا القول تصل الى هذه النتيجة حتما .

هذه المادة التي تتألف منها الاجرام وارضنا وكل عنصر في ارضنا قابلة للتجزئة الى ما لا نهاية له . وبيانه : —

التجزئة غير المتناهية

نأخذ قطعة سكر مثلا ونحلها اي نذيبها في الماء حتى لا نعود نرى لها بالعين اثراً ولكن اذا ذقنا هذا الماء شعرنا بحلاوة السكر . واذا اخذنا ملعقة من هذا الماء المحلى من اية ناحية من الوعاء الحاوي الماء وجدناه حلواً نفس الحلاوة . واذا استخرجنا السكر ثانية من ملعقة من هذا المحلول السكري بواسطة التبخير وجدنا منه قدراً مساوياً لكل سكر في كل ملعقة .

يمكننا ان نتحقق ذلك بمشاهدة العين . اذب قدر قمحة من الانيلين الازرق في كوبة ماء ترَ اللون الازرق متماثلا في كل ناحية من الماء . واذا افرغت هذا الماء الازرق في لتر او لترين من الماء ترى ان اللون ضعف اي « بهت » ولكنه لا يختلف في ناحية عنه في ناحية اخرى . ومعنى ذلك انه موزع بالتساوي في الماء . ففي كل ملعقة منه قدر مساو لاية ملعقه اخرى .

هذا يؤكد لنا ان السكر ايضاً توزع في الماء بالتساوي في كل قطرة منه . ولا يهبط الى اسفل الوعاء وان كان أثقل من الماء . لان الاذابة او الحل بالماء او بأي سائل آخر هي شبه عمل كيماوي او هو بالاحرى عمل طبيعي خاص Physical (ولا اعرف لفظة بلغتنـــا تقوم مقام « فيزيكل » ولا تلتبس بكلمة طبيعي Natural الواسعة المعنى او المتعددة المعاني) . فكل ذرة سكر معلقة بذرة او ذرات ماء مكافئة لها في كل نقطة من المحلول السكري ملايين الذرات المسماة كيموياً جزيئات Molcules و كل جزيء من السكر مؤلف بقوة الالفة الكيمية من ثلاثة عناصر هيدروجين و كربون و اكسيجن بمقادير مختلفة . جميع المركبات الموجودة على الارض مركبة من جزيئات عنصرية مختلفة كالسكر والحجر والتراب والمعدن الخ مما لا يحصى . وعن طريق الكيمياء نستطيع ان نفكك هذه الجزيئـــات الى عناصرها التي تتركب منها . وذرة العنصر تقابل كلمة Atom باللغات الاوروبية كما تعلمون .

في المعمل الكيماوي توصل الكيماويون الى استفراد ذرة كل عنصر من عناصر المادة . ثم قالوا : الى هنا لم يعد يمكننا تقسيم

المادة الى اصغر اجزائها . وسموا هذا الجزء الاصغر جوهراً فرداً (كما يسمى ايضاً ذرة) يعني ان الجوهر الفرد لا يقبل التجزئة . فهو الوحدة الاولى المادة ، في عرف الكيماوي .

نعم الجوهر الفرد لا ينقسم كيماوياً بوجه من الوجوه . كيفما تفنن الكيماوي في فرز العناصر المادية لا يجد الا الجوهر الفرد .

ولكن العالم الكهربائي – اقول العالم الكهربائي لا المهندس الكهربائي) – قال : لقد نجحنا بتجزئة الذرة اي الجوهر الفرد ، فاذا بنا نرى كل جوهر فرد مهما اختلفت عنصريته يشتمل على نوعين من الذريات، النوع الواحد معبأ تعبئة كهربائية ايجابية . والنوع الاخر معبأ تعبئة سلبية – طبعاً العالم الكهربائي يكلمنا بلغة الكهرباء اي السلبية والايجابية وقد سموا النوع الايجابي بروتوناً ونحن نسميه كهرباً ، والنوع السلبي سموه الكترونا ونحن نسميه كهيرباً .

هذان الكهرب والكهيرب هما وحدتا اي عنصر من عناصر المادة . اي ان الجوهر الفرد مركب من هاتين الوحدتين ولا ثالث لهما ولا فرق بين ذرة وذرة او بين جوهر وجوهر الا بعدد ما فيهما من هاتين الوحدتين الهيدروجين اخف العناصر وهو يحتو على كهرب واحد وكهيرب واحد واثقل العناصر هو الاورانيوم يشتمل على ٢٣٨ كهرباً و٢٣٨ كهيرباً . اي كل كهرب يقابله كهيرب لكي تتعادل الايجابية والسلبية

الكهارب متجمعة في مركز الجوهر (او الذرة) ومعها بعض كهيربات وتسمى هناك نواة . وبقية الكهيربات الاخرى تدور في افلاك حول النواة . وهنا نقف عند هذا الحد من التفصيل لانه اصبح خارجاً عن دائرة بحثنا . وغرضنا منه ان نبين ان الجوهر الفرد يتفتت بقوة كهربائية الى ذريات ذات نوعين فقط ايجابي وسلبي) ويشتق منها بوزترون وميزون ونيوترون وديترون وجسم الفا ونيوترينو)

هل تقف تجزئة المادة عند هذا الحد ؟ اي هل ترجع كلها مهما اختلفت عناصرها الى ذريتين كهرب وكهيرب ؟ ام تستمر التجزئة ايضاً؟ هل الكهيرب اخر جزء تتجزأ اليه المادة وكذلك الكهرب .

لا . سنرى

قلنا ان الكهرب ايجابي والكهيرب سلبي ، فلنفرض ان هذا اطبق على ذاك فماذا يحدث؟ هل ينفي احدهما الاخر كما هو معلوم في الرياضيات : ايجاب مع سلب يساويان صفراً اي لا شيء ؟

اذا كان كلما اطبق الكهيرب على الكهرب انتفيا معاً او تحولا الى لا شيء . يكون مصير العوالم كلها الى الفناء . لان هذه العملية اي اطباق الكهيرب على الكهرب تحدث في الاكوان ملايين ملايين المرات كل لحظة . ولكن العلم الطبيعي قد قرر ان المادة لا تفنى بل تتحول من حال الى حال . فهي باقية على صور مختلفة . يحترق البنزين ويزول كبنزين ولكنه يتحول الى بخار ماء . وغاز الحامض الكربوني .

والحقيقة انه كلما اطبق كهيرب على كهرب انتفت كهربائيتهما وتحولا معاً الى لمعة اشعاع تنطلق في الفضاء . وانطلاقها هو الطاقة المتولدة من الذرة . ولكن هذا الاشعاع هو فتات كل من الكهرب والكهيرب الى ذريات اخرى في منتهى الدقة تسمى فوتونات (ونحن نسميها ضويئات جمع ضوىء) .

الكهرب يتفتت الى عشرة آلاف فوتون (اي ضوىء) .
ولما كان الكهيرب يساوي ١٨٤٠ كهرباً بالوزن كان يتفتت الى عشرة آلاف مضروبة بـ ١٨٤٠ اي ١٨ مليوناً و ٤٠٠ الف فوتون .

اصبح الفوتون في علمنا الاخير آخر جوهر تتجزأ اليه المادة اي ان جميع مواد الكون مؤلفة من فوتونات فقط ، بعضها متجمعة في كهيربات وبعضها في كهارب مقابلة لها – ولها خاصة التجاذب وهو ما نسميه كهربة .

ليس للفوتون قوة او تعبئة كهربائية وانما هو يحمل آخر مظهر من مظاهر الطاقة . فاذا بقيت الكهيربات تطبق على الكهارب وتنطلق في الفضاء ملايين فوتونات فبالطبع على تمادي الزمان تنقرض صور المادة التي نعرفها بتحولها الى فيض فوتونات يمتزج باوقيانوس الاثير كما تمتزج الخمرة بالماء . .

على ان بعض علماء هذا العصر ومنهم السير جايمس جينز والسير ادينغتون واينشتين يعتقدون ان الفوتون وذرية الاثير هما شيء واحد اي ان المادة تنحل اخيراً الى اثير . وبناء على هذه النظرية يكون ان المادة تكونت في الاصل من تجمع ذريات الاثير وتكاثفها . فالكون المادي اذن نشأ من الاثير والى الاثير يعود .

حاصل ما تقدم ان الفوتون آخر ما توصل اليه العلم الحديث في تجزئة المادة كهربائياً واشعاعياً . الحراره التي تصدر من اشعاع الراديوم او تشعه هي فوتونات . والحرارة المنيرة التي يشعها المصباح الكهربائي هي فوتونات . وامواج اللاسلكي المختلفة هي اشعاعات فوتونية غير منظورة . وهكذا كل اشعاع منظور او غير منظور هو فوتونات منطلقة في الفضاء .

وهنا نسأل هل يمكن ان يتجزأ الفوتون ؟

الى الان لم يعرف العلم الحديث ان كان ممكناً ان يتجزأ الفوتون فعلاً . ولكن المنطق يقول بأنه يتجزأ حكماً وان كان

لا يتجزأ فعلاً واليك البرهان : —

قلنا ان كل جسم يشغل حيزاً ذا ابعاد ثلاثة طول وعرض وعمق . فبالعقل المنطقي يجب ان تكون الاجزاء التي يتألف منها متجسمة مثله ومتكعبة في ثلاثة ابعاد مهما كانت هذه الاجزاء صغيرة والا فلا يتكون مجسم من غير مجسمات .

اذاً فالفوتون الذي تتألف منه المادة ذو حجم مجسم في ثلاثة ابعاد . وبناء عليه يمكن ان ينقسم منطقياً بالطول او بالعرض او بالعمق الى اجزاء اصغر منه . وبالتالي كل جزء منه يقبل التجزئة حكماً اي منطقياً الى ما لا نهاية .

هذه هي اللانهاية الاولى من اللانهايات الثلاث وهي خاصة بالمادة

نأتي الى اللانهاية الثانية وهي الخاصة بالمكان

انتهى العلم اخيراً الى نظرية معقولة في تكوين العالم المادي . مفادها ان الهيولى اي المادة الاولى التي تكونت منها الاجرام نشأت من تجمع ذريات الاثير كما سبق القول او ذريات الفوتون المشابهة للاثير وظلت تتكاثف حتى صارت سدماً فاجراماً في دهور لا عداد لها على نحو ما يأتي .

لذريات الهيولى الاولى التي تكونت منها الاجرام طبيعتان خاصتان : الاولى ان كل ذرية فوتونية ميالة الى اقرب ذرية اخرى لها كأن كلاً منهما تجذب الاخرى لها . وبقوة هذا الميل تتحرك جميع الذريات مجاذبة بعضها بعضاً . وبطبيعة الحال تتكون منها هنا وهناك وهنالك جماعات متعددة مختلفة الاحجام. وبينها رحاب متفاوتة المسافات ايضاً . والجماعات الكبرى اقوى جذباً من الصغرى . وبفعل هذا التجاذب المتفاوت القوى والمتعدد النواحي تضطر الجماعات الصغرى . ان تدور حول الكبرى . والدوران هذا هو الخاصة الثانية لذريات الهيولى . ولحركة الدوران بحث ضاف لا محل له هنا وليس هو من موضوعنا .

وغاية ما نريد ان نقوله الان هو ان الحركة الدورانية طبيعة ثانية في المادة فجميع الاجرام من كواكب وشموس وكوكبات ومجرات تتداور في الفضاء حسب سنة الجاذبية . وبحسب هذه السنة تتقارب الاجرام . وبمقتضاها ينبغي ان تطبق بعضها على بعض . ولكن هناك عاملاً آخر يصد هذا الاطباق . كما يلي بيانه .

ففيما كانت ذريات المادة تتجمع وتتكاثف كانت كلما تلبدت في مكان تنطبق الكهيربات على الكهارب فتنطلق منهما الفوتونات اشعاعاً في الفضاء كما سبق القول . وبهذا الاشعاع يصغر الجرم فتضعف جاذبيته . وباستمرار عملية الاشعاع في جميع الاجرام تضعف الجاذبية العامة فتقوى الدافعية اي قوة الابتعاد عن المركز والقوة الدافعية هذه تعليل معقول جداً لا محل لتبيانه هنا . وهذا الابتعاد عن المركز يؤول الى تباعد الاجرام والمجرات بعضها عن بعض . هذا هو المشاهد الان في الارصاد الفلكية كما شاهده هوبل في مرصد جبل ويلس : المشاهد ان الكرة الكونية العظمى الشاملة جميع الاجرام والمجرات تتمدد وتتسع على نحو تمدد فقاعة رغوة الصابون .

يعني ان الحيز الذي تشغله المادة ينتفخ على حساب هذا الفضاء الفارغ . فاذا استمر هذا الانتفاخ فالى اي حد يبلغ ؟ هل يقف عند حد ؟ وما هو حده . هل للفضاء الحالي اتساع محدود ستملاه الاجرام ؟ واذا بقي حيز الاجرام يتمدد فالى اين يتمدد متى بلغ حدود فسحة الفضاء وماذا وراء فسحة الفضاء هذه؟ وهل لها وراء. وما وراء هذا الوراء ؟ يمكننا ان نسأل هذا السؤال دائماً الى الابد لانه ليس لهذا الفضاء نهاية ، مهما تطوح تخيلنا في استقصائه .

هذه هي اللانهاية الثانية . وهي خاصة بالمكان — الفضاء .

نأتي الان الى اللانهاية الثالثة وهي خاصة بالزمان

فيما كانت الذريات تتجمع ، وفيما كانت جماعاتها تتكاثف حتى كونت اجراماً عظيمة كانت تستمر في هذا التكاثف حتى تتلبد . وكانت كلما تلبدت كانت كهيرباتها تطبق على كهاربها فتنفلت الى فوتونات تنطلق في الفضاء اشعاعات موجية مختلفة وتنتشر في الفضاء .

تظل ذرات المادة تتكاثف وجماعاتها تتجمع فلا تكاد اجرامها تطبق بعضها على بعض حتى تكون الذريات قد شرعت تتلاشى بشكل فوتونات في الفضاء . ولا تزال تتفلت الذريات وتفيض من الاجرام الى ان تغوص في اوقيانوس الاثير وتمتزج فيه كما كانت منذ الازل . وهكذا يفنى العالم المتكون من فوتونات بارزة من بحر الاثير ، متحولا ثانية الى فوتونات غارقة في بحر الاثير — هو من الاثير والى الاثير يعود . ويستمر نشوؤه ثم فناؤه ابداً فايضاً فايضاً الى ابد الابدين بلا نهاية .

هذه العملية — عملية النشوء من الاثير والفناء في الاثير استغرقت ملايين لا تحصى من الدهور . وقد تكررت عدداً لا يحصى من المرات منذ الازل الذي لا بداية له . وستتكرر عدداً لا يحصى من المرات الى الابد الذي لا نهاية له .

وهنا يسأل سائل : ماذا كان قبل الازل وماذا يكون بعد الابد ؟ الجواب لا قبل للازل ولا بعد للابد لا بدايه ولا نهاية

هو السرمد الذي لا اول له ولا آخر

هذه هي اللانهاية الثالثة . وهي خاصة بالزمن

هنا يبتدىء الفيلسوف المتبحر في فلسفة ما وراء الطبيعة : هل يستطيع العقل البشري ان يتصور النهاية تارة واللانهاية تارة اخرى؟

اذا شاء العقل ان يتصور لهذا الفضاء العظيم شكلا كرويا او اي شكل هندسي آخر كان كأنه يجعل حدا لكرويته او شكله ويفرض له قياسا مقررا . فاذا تصور له هذا الشكل بدر له في الحال ان يتخطى ذلك الحد الى ما وراءه . لا يستطيع ان يقتصر على تصور حد من غير ان يتمادى الى ما وراء ذلك الحد والى ما وراء ورائه وكذلك لا يستطيع ان يتصور النهاية او يرسم صورة في خياله . في كلتا الحالتين تخبله الحيرة

اذاً فلا يستطيع ان يتصور النهاية ولا ان يتصور اللانهاية . لا يستطيع ان يتصور اللانهاية ولا ان يتصور النهاية . لا يستطيع ان يرسم في خياله صورة للنهاية ولا للانهاية واذا حاول ذلك خبلته الحيرة . اليس غريباً ان هذا العقل الذي اكتشف معظم اسرار الكون يعجز ان يفهم سر النهاية واللانهاية، او يفصل بينهما او ان يوفق بينهما .

العقل يبحث عن سر الحياة ويرى ان هذا البحث مستطاع ويؤمل ان يقبض على هذا السر يوما ما . وكذلك يبحث عن اصل العقل نفسه ويرى انه يكاد يدرك سر نفسه ومصدره . وطالما حار العقل في امر الكهرباء . وسرها الى ان قبض على سرها او كاد ولكنه مهما تبحر في تفهم اللا نهاية لا يرى بارقاً من الامل في فهمها — يراها لغزا لا ينحل او يستحيل حله . فلماذا

هل السبب في اللا نهاية نفسها او في العقل الذي يغزوها فيعود خائبا .

لا ريب ان السبب في العقل نفسه

ليس العقل ذاتية قائمة بنفسها منضمة الى الجسد انضماما . بل هي عمل يصدر من الجسد نفسه . والاداة التي تصدره هي الدماغ هو كأي عمل من اعمال الجسد كالمشي مثلا . فاذا لم يكن ثمت رجلان تمشيان فلا مشي و كالضحك فاذا لم يكن فم يضحك فلا ضحك وهكذا اذا لم يكن دماغ يعقل فلا عقل . ونحن نتكلم عن العقل باعتبار انه شخصية قائمة بذاتها مستقلة عن الجسد . والحقيقة اننا حين نتكلم عن العقل نكون متكلمين عن الدماغ والمراكز الدماغية التي تصدر العقل وتنسب لها القوى العقلية . وهذا الاعتبار مجاز فقط نتخذه لتسهيل التعبير عن القوى العقلية . فلنتخذ هذا المجاز ونعتبر العقل شخصية قائمة بذاتها (وما هو كذلك) وحينئذ نقول

ان العقل يستمد تصوراته عن العالم الخارج عنه بواسطة المشاعر الخمس واهمها البصر . فجميع المعلومات التي علمتها عقولنا عن العوالم الكونية وردت اليها عن طريق البصر بواسطة التموجات النورانية واخواتها من الامواج الكهرطيسية . وفي كثير من المرئيات القصية نستعين بالآلات البصرية المختلفة الانواع . اذا فاقصى ما علمناه عن الكون كان لنا عن طريق البصر وبالاستعانة بالآلات البصرية . ومن هذا الطريق عرفنا نهاية الحيز المادي الذي يشغل جانباً من الفضاء اللا متناهي فما ليس مادياً لا يمكن ان نعرفه .

وحاصل القول ان عقلنا مهما عظم ادراكه لا يمكن ان يتجاوز المحسوس مباشرة او بواسطة الآلات . فهو اذا محدود بالدماغ الذي ينتجه وبالجهاز العصبي الذي يعاون الدماغ في انتاجه

واللا نهاية التي نحن بصددها تتجاوز المادة التي نشأ الدماغ منها فصدر العقل منه . فلذلك يستحيل على العقل المحدود بالمادة ان يتطاول الى ما وراء المادة . حسبه فخراً ان ادراكه استطاع ان يشمل حيز المادة واما ان يتخطاه الى اللانهاية وهي اوسع منه فهو حكم منطقي أخرق .

اللا نهاية لا تقع تحت الحواس ولا تتأثر بها المشاعر الدماغية والعصبية فكيف يمكن ان يدركها العقل وهو لا يتناول معلوماته الا عن طريق المشاعر . ان الدائرة التي يسبح فيها العقل هي الحيز المادي فقط . وهذا الحيز نقطة في دائرة اللا متناهي واذا كان اللامتناهي يشمل عالما آخر غير عالمنا المادي فيستحيل على العقل ان يدركها لان المشاعر الدماغية والعصبية لا تحس به حتى ولا بواسطة الآلات التي نستعين بها وهكذا يقف العقل دون عالم الارواح وما اليه من العوالم مبهورا .

*

فاذن هذا العقل الذي نتبجح به وبعظمته وقدرته وشموله هو صغير جدا بالنسبة الى الوجود اللامتناهي الاعظم . ولا يمكن الصغير ان يشمل الاكبر .

فلذلك حين نقول « عقل الله » ننسب لله عقلا على شكل عقلنا وطبيعته ثم نقول انه اعظم من عقلنا . ولكن مهما عظم لا يدرك اللامتناهي ما دامت طبيعته كطبيعة عقلنا . وان قلنا ان طبيعته تختلف عن طبيعة عقلنا فاذن ليس هو عقلا بل هو شيء آخر لا نعلم ما هو ولا نفهمه . فلنكف عن محاولة تعريفه . والا فنحن نحقره في حين نقصد ان نعظمه

القاهرة — نقولا حداد

دمعة شاعر على شاعر

رثائي على قبر بياتريس

*

يا عذارى خلينه مستفيضاً — في الشعور العميق من صلواته
وتوارين كي ترين جلال الـ — حب في صمته وفي خطراته
خفر الحب عهده وتولى — تاركاً رحبه لدى حسراته
يلذع الحزن قلبه حين يذكيـ — ـه خيال منبه ذكرياته
دعنه يرع في السموات نجماً — سابحاً في الحبيس من عبراته
لا تهيجن حزنه وأساه — والاسيف اللهيف من نظراته
دعنه يذكر أليف صباه — ويهنه من الاسى قطراته
في سكون كأنه ظلل المو — ت تجلى على رؤى خلواته

*

لا تهامسن يا ملائك وارعيـ — ـن لقلب مفجع حرماته
انما الهمس يستثير جوى القلـ — ـب ويذكي بروحه زفراته
وتعالين نستمع في خشوع — وسعير من الاسى نغماته
صاغهن الحزين بين رنين الد — مع مسترسلاً على وجناته
وزفير بين الضلوع ولما يقض — من ذلك الهوى نزعاته

*

ايها الطيف ان علوت سماء الر — وض مستنشقاً شذا زهراته
وسمعت الاطيار تصدح والفجـ — ـر تراءى مروحاً نسماته
والازاهير كالنجوم تلالا — تستمد الحياة من نفحاته
فأت قبراً ثوى لديه ملاك — خطفته المنون في سكراته
كنت أرعاه منهلاً للاماني — واعل اللذات في كاساته
وتخشع فما عليك ملام — ان تضمخت في عبير رفاته
انه الحب مات وهو فتي — فثوى الحب في ربيع حياته
حسرة القلب بعده والاماني — ما تناهى الخلي في لذاته

*

... ايها القلب لا عليك سلام — ان حباك السلو بعض صفاته

دمشق — سليم الزركلي

بين الواقع والمثال

بقلم عبد اللطيف شراره

*

نشرت مجلة « الكـاتب المصري » في عددين متتابعين[1] بحثاً طريفاً لكاتب افرنسي يدعى «ريمون جيران» تحدث فيه عن ظاهرة غريبة طغت على الحياة الادبية من أقدم العصور الى اليوم، هي « الذعر من الواقع » وأهاب بالادباء عامة ، والقصاصين منهم خاصة ، الى مقاومتها ، راغبا اليهم « ان يصوروا في كتبهم كل ما يجيش في الانسان ، كل ما ركد فيه ، كل ما اتصل بأعماله الظاهرة أو بحركاته الخفية ، بأفكاره الخارجية الواضحة ، أو بأشد وساوسه ارتباطا ، وأن يطمحوا طموحاً عالياً الى الملائمة بين الاضـداد ، وتنـاول أرقى الحالات وأدناها ، بنفس الرغبـة الاستطلاعية ، وبنفس روح التفهم ، في كلا الحالين . وقبل أن ينتهي من بحثه بقليل ينهي الى الكتّاب والمؤلفين هذه النصيحة : ان نغيب عن بالهم ان سلوك الانسان يعتمد أولا على تكوينه الفسيولوجي .

وخلاصة حديثه انه يريد فناً يصل بدقته وجلائه وافصاحه الى قهر الاساطير الحديثة ، يريد فناً يحفظ للفظ جماله ووضوحه دون ان ينتقص من طرافته وغرابته ، يريد فناً يبدد هذا الابهام السائد في الاذهان ، فيهاجم من غـير تردد او هوادة تسلط الالفاظ والحوادث » .

يلوح لي ان كاتب هذا البحث متأثر تأثراً عميقـاً بالقصاص الافرنسي الشهير « مارسل بروست » حتى لأحسب انه اعتمد في استنباط آرائه وتركيزها على قصص بروست وما توحيه الى ذهن كل ناقد أدبي ، شأنه بذلك شأن اكثر النقاد الذين يضعون القاعدة بعد المثل . ولو لم يكن امامه بروست ، ومؤلفات بروست لما تأتى له ان يوفق الى تلك الملاحظات الدقيقة والالتفاتات المباغتة : انّ في الحياة وان في القصة .

وثمة ناحية ثانية اوسع واشمل ، وهي ان التيـار الفكري الحديث يسير مندفعاً نحو الحرية في شتى اقطارها وآفاقها ، وانه في اندفاعه هذا ، يصطدم بين حـين وآخر ، بما يعرقل سيره ويبعثر نشاطه فيقف ، بيد انه يقف ليقـاوم ، وغايته ، من المقاومة ، ان يستأنف سيره ، . اما النهاية ، فليس لها بدء . . . ولا نهاية !

لذلك ، كثرت المصاعب امام المفكرين — اخصاً في اوربا — وأصبح كل ما كان « غاية » يعملون عـلى الوصول اليه « عقبة » يريدون التخلص منه : هكذا بدأوا بالحرب دفاعاً عن الحرية ، حتى اذا انتهت الحرب وجدوا الحرية في خطر تتجـاوز جسامته مدى ما كانوا يحسبون ، وهكذا اخذوا بتطبيق العلمانية على انها النهج الامثل في التفكير ، حتى اذا تقدمت العلوم اخذوا يستغيثون ويستصرخون ! واليوم نراهم ، وقد مارسوا افانين البحث العلمي جمعاء ، وحققوا في الحياة العملية ما حققوا من قهر المادة وتسلط عليها — نراهم يخافون الوقائع ، ويبتغون قهر «الالفاظ» و«الحوادث» وبرهان ذلك انهم يريدون ان يقاوموا ذلك الخوف ، كأن مقاومة الخوف وحده تمحق الوقائع !!

هذه مأساة اخذت فصولها تتمثل على مسرح حياتنا العصرية ، ولا ادري كيف تكون خاتمتها ، ولكني موقن ان اسدال الستار عليها لا يمنع الفاجعة اذا كانت الفاجعة في الخاتمة . يجب ان تتغير الوقائع « الراهنة » ليزول الذعر . يجب ان تحدث المعجزة لتطمئن القلوب ، فان من السخف نصحك لرجل تجتاحه العواصف من كل جانب ان يكون شجاعاً ، اذ لا بد لها ، للعواصف ، من ان تعصف به سواء كان خرعاً او صنديداً . . . فما هذا الذعر من الواقع الا جزء من الواقع . والحكمة كل الحكمة ، هي ان نحتال للامر كي لا نقع فيه ، لا ان نحتال عليه للخروج منه حين نقع .

وهنا يتحيز سر « المأساة العصرية » فاننـا لم نوفق بعد الى ادراك الواقع وفهمه ، واخفاقنا في ذلك ناشيء عن قصور مثاليتنا ،

---

(١) فبراير ، ومارس من مجلد ٢ . سنة ١٩٤٦ .

فكثيراً ما يتصبانا النجاح الآني ، وكثيراً مـا نستجيب لاغراء طاريء ، وكثيراً مـا نحسب اننا نستند الى واقع ، ونحن في الحقيقة واهمون !

— ١ —

الواقع في معناه الظاهر ، هو كل ما نشاهده ونلمسه ونذوقه ونسمعه ونشمه ، اي كل ما تقع عليه الحواس وتتأثر به . ولكن الافكار التي تفعم عالم الحس واقع ايضاً ، والعواطف واقع ، والرغبات واقع فلا يجوز ان نختزل افكارنا وعواطفنا ورغباتنا في تصوير موقف ، او سرد حادثة لان مثل هذا الاختزال يؤدي حتماً الى تشويه الواقع ، واقعنا على الاقل . وهو تشويه اكثر ، بل مسخ واضح ، حين نختزل تلك العواطف والافكار والرغبات عند تصوير غيرنا وسرد حياته ومواقفه .

اذكر اني تحدثت مرة الى جمـاعة من المجرمين المنبوذين المنسيين ، وكلهم بين قاتل وسارق ومهرب ومعتد على عفاف ، وكلهم عرفوا السجن وخرجوا منه ، فكنت الاحظ ان كل واحد منهم يحاول ان يصبغ جريمته بشتى الاصباغ الانسانية المثالية ، وان يبرزها في قالب خاص من شأنه ان يلقي عنه التبعة ، او يقربه الى القلب ، او يجعلك تؤمن ببراءته ، او تحسبه اخذ بما لم يستحق ، ولم يكن فيهم واحد يسرد قصته او يعرضهـا عرضاً مجرداً من غير تعليق ، بل كان حين يخونه البيان في الافصاح عن نفسه ، ويعسر عليه تصوير الدوافع والحوافز ينفعل انفعالاً عميقاً ، وكان انفعاله يظهر في حركات واشارات هي في انفجارهـا واصطخابها تعليقات عفوية ، تعبر تعبيراً دقيقاً عن « حقيقته » التي تمثلت للناس في جريمة ، وكان من حقها ان تتمثل في اي شيء ، في كل شيء ، الا في جريمة ! !

لا مشاحة في ان لهذه الظاهرة — وليس من الصعب التحقق من وجودها — ملابساتها الخاصة ، ولكنها عـلى الرغم من ملابساتها ، تؤكد لنا بجلاء ان الواقع لا ينفصل عن المثال ، فهذا المجرم الذي قبض عليه في الجرم المشهود — وهذي انصع حالات الواقع — والقي في غياهب السجن وشهد عليه الشـاهدون وهو اعترف بما اقترف ونال جزاء فعلته لا تزال في نفســه ثورة خفية عميقة . وما ثورته الا لان الحقيقة التي يشعر هو بها وحده ، ولم يشعر بها غيره لا تزال مجهولة ولا امل في تعريفها وتقريبها . فاذا انطوى على خوف من الواقع ، فخوفه ناجم عما يلمسه من فارق عظيم بين حقيقته كبريء ، وواقعه كمجرم .

وقد فطن اندريه موروا الى هذا النوع من الحقيقة وسماهـا « الحقيقة الشعرية » ثم عرفها بقوله : « ان حقيقة ظرف ما ، او حقيقة منظر ما ، ليست ما نشاهده فحسب ، وانما هي ركام من موضوعات الماضي والحاضر وحتى المستقبل تتجمع كلها وتتمازج في الرؤيا الراهنة » ولكن ، هل من سبيل الى معرفة هذه الحقيقة الشعرية ؟ وهل في طاقة القصاص ان يصل اليها ؟

— ٢ —

قال الشاعر العربي منذ اجيال :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ... ولا الصبابة الا من يعانيها

وخلاصة مـا ينجاب عنه هذا البيت ان التجربة الشخصية الحية ضرورة من ضرورات المعرفة ، فلا يستقيم لاحد ان يدعي العلم بقضية من القضايا الانسانية الكبرى ما لم يتمرس بها تمرساً كيانياً بليغاً ، واذا فعل ، وقع في « التسوية » . ولا مبرر لفعلته ان تكون عن غير عمد . . . بله ان تكون عن عمد !

انزل قليلاً الى الاعماق ، وخض غمـار الذين جربوا من قبل ومن بعد ، تجد الاساطين من عظماء التاريخ ينتهون في آخر مرحلة من مراحل جهودهم ، وبعضها جبار ، الى القول : انهم لا يعرفون شيئاً . وهم يقولون ذلك عن اقتناع واخلاص ، حتى لكأن المعرفة تطرد بنسبة واحدة مع الايمـان بالجهل فكلما ازدادت المعرفة واتسعت المدارك تكشفت للعارف آفـاق تجعله يؤمن بقصوره وتقصيره ، ثم تجد مـا هو اعجب من ذلك : تجد ان التجارب الانسانية مختلفة باختلاف كل انسان ، فالحب عند عنترة غير الحب عند جميل ، والحب عند جميل غير الحب عند عمر بن أبي ربيعة ، فاذا شئت ان تتابع السلسلة حتى تصل اليك شخصيـاً وجدت ايضاً ان الحب عندك غير الحب عند الاخرين ممـن تقدموك او يعاصرونك .

تجاه هذه الحقائق ، لن يجرأ القصاص ، كائناً من كان ، على تصوير حالة عامة ، يفترض فيها انها عامة ، فلا مندوحة له ، كي يصون ثقته بنفسه وثقة القاريء بإخلاصه ، عن معالجة حالات خاصة ومواقف خاصة ، ثم ينبغي لهذه الحالات الخاصة ان تكون تجارب وتجارب فحسب . وهو اذ يند عن هذا النهج ، يضطر الى احد أمرين : اما ان يعرض للاشخاص والحوادث عرضـاً فوتوغرافياً اي خالياً من كل حركة ، واما ان يشتط في بيـان لفظي من الصور والتهاويل لا حياة وراءه ، وفي كليهما تفقد الحقيقة شاعريتها .

اما ان يستعين القصاص بالفيزيولوجيا لاستخراج ما يشكل

عليه في سلوك ابطاله ، ويستفيد منها في تقرير مصاير اعمالهم واقوالهم ، فلا اظن ان ذلك يفضي به الى تصوير واقع حي عميق في حياته ، لان الظواهر الفسيولوجية نفسها ليست من الضبط والدقة بحيث يطمئن المرء الى جانبها او يعتمد على المعلوم من نتائجها ، فكم من مرض عد مصدر عبقرية عند شخص ، بينما عد نفسه علة جمود وخمول عند شخص آخر ، فلا مجال اذن لتركيز الحقيقة الا على التجربة الشخصية .

والتجارب على انواعها ، انما تتاح لرجل مثالي يحسب الواقع نقطة انطلاق ينبعث منها الى هدف اسمى . وكلما بعد هذا الهدف وارتفع كانت التجارب التي يتعرض لها صاحبه اخصب واغنى ، من الناحية الفكرية – الروحية ، اما القانع والزاهد والخائف والحائل واليائس ومن شاكلهم من الرجال والنساء فانهم لا يعرون بالآلام والافراح ، ولا بالحوادث والمصائب التي ترهف حسهم وتلهب كيانهم وتشد من عزائمهم : هؤلاء هم الذين لا يعرفون الواقع ولا يفهمونه ، وان خيل للناس انهم واقعيون ، او موهوا على انفسهم انهم واقعيون .

والرضى بالواقع من غير بحث عن الحقيقة الشعرية او استهداف لواقع افضل ، يشير الى انحدار ، والى ان صاحبه يسير في منحدر ، فلن يلبث طويلا الا ويسقط في الهاوية ! وتلك هي حالة العامة من الناس في حياتهم المادية المباشرة ، فما هي حال اديب يقتصر عمله الاكبر ، في كلياته وجزئياته ، على دراسة الوقائع وتفهمها وتصويرها ؟ ؟

– لاجرم أنه لايستطيع التحليق أو الابداع الا حين يواجه الحياة من علياء مثاليته الذاتية التي يتميز بها عن مثالية غيره ، كما يتميز بواقعه الحي عن واقع غيره ، واذا كنا نجد عند معظم الموهوبين من الشعراء والادباء والروائيين تلك القدرة العجيبة الخارقة على ايضاح ما غمض من تفاصيل الحوادث وادراك ما استعصى في غمرة الظواهر ، ووصف ما دق وجل من جوانب الموضوعات التي يتناولونها ، فما ذلك الا لانهم يشاهدونها من عل ، ويشرفون عليها اشرافا تاماً ، بينا نحن – الناس – نعيش في اجوائها ، ونتقلب في محيطها ، ونضطرب في مجاليها فلا نشاهد ما يشاهدون ، ولا ندرك ما يدركون ، حتى اذا ايقظوا وعينا ، وهزوا كياننا ، رجعنا نصفق لهم كأننا أفقنا من حلم ، او اهتدينا الى الفجر بعد ظلام ! . .

– ٣ –

. . والناس في شوق حاد مستمر الى مثاليات جديدة تواكب احوال الواقع الذي يحيونه ، تتلون بالوانه وتتطور بأطواره ، ثم يكون شأنها بعد ذلك ان تستعلن بما فيه من جمال ، وتناضل ما ينطوي عليه من حماقة وتشد الى سماء أرحب وأسنى من وهاده ومضايقه . ولولا هذا « الشوق الاجتماعي » الدفين لما استطاع المثاليون العظام كولز وتولستوي وطاغور ورولان وجيد أن يحرزوا الاعجاب الذي أحرزوه . ولا ان يثيروا الاجواء التي أثاروها .

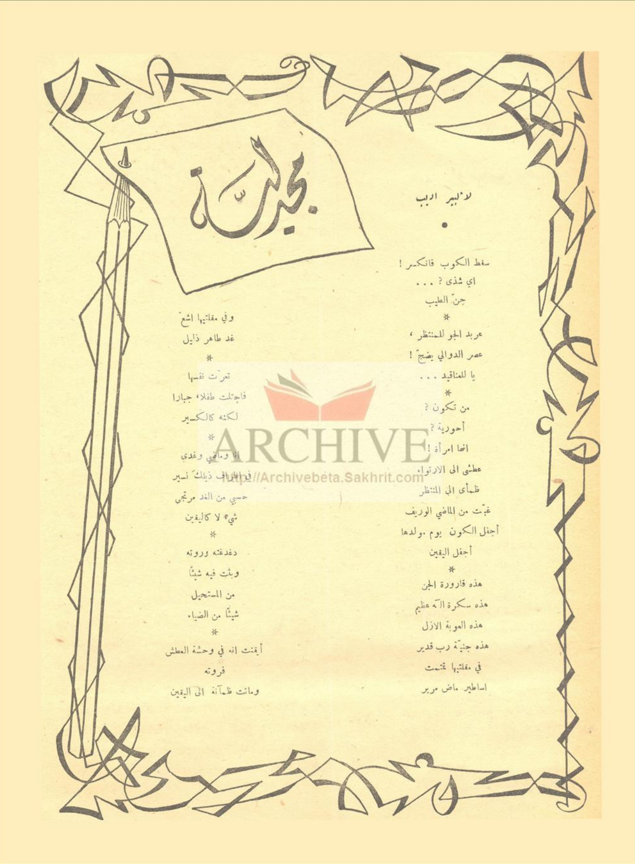
هؤلاء الادباء ومن كان على شاكلتهم ، في درجات من المشاكلة ، يمتازون اكثر ما يمتازون بعذوبة البيان ورحابة الفكر وقوة الخيال وسمو الروح وبعد الغاية وتلوين الحوادث فلم تتسلط عليهم الالفاظ ولا استعبدهم الواقع ولا ساد في اذهانهم ابهام ، ولا كان اثرهم في الحياتين : الاجتماعية والادبية ضئيلا ، بل كان في القمة من الافادة ، في بعض الوجوه .

فاذا كان الذعر من الواقع واقعا ، كان على ادباء هذا الجيل أن يتداركوا الفاجعة قبل حدوثها ، وأن ينقذوا الحرية المعبودة مما يعوقها من عقابات ويعوقهم في الطريق اليها من صعاب ، وجب عليهم أن يحاولوا من جديد تغذية المثالية – مثالية مبتكرة جديدة – في النفوس والعقول والقلوب وان يوجهوا الاساطير الحديثة ويجددوا محاسنها ، لا ان يقهروها ، فهي جزء من كياننا العصري ولا سبيل الى قهرها . . . يجب ان يجاهدوا وأن يجاهدوا الى أن تحقق الانسانية في عالم الروح ما حققته في دنيا المادة ، الى أن يصبح الضمير أقوى من القنبلة الذرية ، والحب انفذ من الرادار ، والفن اسمى منزلة من السياسة ، والجد مظهرا من مظاهر المروءة .

في هذا العالم الذي ينبغي لرجال الفكر أن يحققوه وأن يعملوا له تحسر الوقائع هيبتها فلا تخيف أحداً ، وتنقشع الغيوم التي تحجب جمال الحقيقة فيرتمي الناس على أقدامها ، ويحل الصبر محل الجزع فلا يبقى مجال للانين والعويل ، وتقعد الرحمة مقعد الطمع فلا يستنهض الهمم غير المعروف ، وتصبح النفس في حرز حريز من قوتها حتى تغير البدن وتخضعه لسلطانها الرفيع .

تلك هي المعجزة التي ينبغي لنا ان تحدث كي تغير الوقائع وتزيل الذعر منها ، وليس ثمة من امل بحدوثها الا على يد فن جديد يساويها في العظمة والقدرة ، ويوازيها في الاثر والتأثير ، وذلك الفن لن يكون الا حين يؤمن بامكانها ويستلهمها . . .

صيدا — عبد اللطيف شراره



مجدلية

لألبير اديب

•

سقط الكوب فانكسر !
اي شذى ؟ . . .
جنّ الطيب

*

عربد الجو للمنتظر ،
عصر الدوالي يضجّ !
يا للعناقيد . . .

*

من تكون ؟
أحورية ؟
انها امرأة !
عطشى الى الارتواء
ظمأى الى المنتظر
غبّت من الماضي الوريف
أجفل الكون يوم ولدها
أجفل اليقين

*

هذه قارورة الجن
هذه سكرة الّه عظيم
هذه العوبة الازل
هذه جنيّة رب قدير
في مقلتيها غمغمت
اساطير ماض مرير
وفي مقلتيها اشعّ
غد طاهر ذايل

*

تعرّت نفسها
فاجتلت طفلا، جبارا
لكنه كالكسير

*

انا وماضي وغدي
في اطراف ذيلك نسير
حسبي من الغد مرتجى
شيء لا كاليقين

*

دغدغته وروته
وبثت فيه شيئاً
من المستحيل
شيئاً من الضياء

*

أيقنت انه في وحشة العطش
فروته
وماتت ظمآنة الى اليقين



من يوميات صياد

نأت « دارليلى » وشط المدى . . .   فعيناك مـا تطعمان الكرى
ومـر بفرقتهـا بارح ؛   فصدق ذاك ؛ غراب النوى . . .

*

ومن دونهـا ؛ بلد نازح   يجيب به البومَ ؛ رجع الصدى
ومن. منهـل ؛ آجن مـاؤه   سدى ، لا يعاذ به ، قد طما . . .

*

ومن حنش ، لا يجيب الرقا   ة ، أمر ذي جمة ، كالرشا
أصم ، صموت ، طويل السبا   ت ، منهرت الشدق ، حاري القرا
له في اليبيس ، نفاث يطير   على جانبيه ، كجمر الغضى
وعينان ، حمر مـآقيهما ،   تبصان ، في هامـة كالرحى
اذا ما تثاءب ، ابدى لـه   مذربة عصُلًا كالمدى .
ولو عض حرفي صفاة اذن ،   لانشب انيـابه في الصفا
كأن حفيف الرحا ، جرسه ،   اذا اصطك اثناؤه وانطوى .
كأن مزاحفـه ، أنسع   حزن فرادى ، ومنها ثنى . . .

*

وقـد شاقني نوح قمرية ،   طروب العشاء ، هتوف الضحى
فغنت عليه بلحن لهـا ،   يهيّج للصب ما قد مضى
فلم أر باكيـة مثلهـا   تبكي ، ودمعتها لا ترى
أضلت فريخاً ؛ فطافت له   وقد علقته حبـال الردى
فلما بدا اليـأس منه بكت   عليه ، وماذا يرد البكا ؟ . . .

*

لعلنا من هذه القطعة، امام ملحمة فريدة النوع في الادب كل الادب . فهي دقيقة الوصف ابعد حدود الدقة، ومعبرة ابعد حدود التعبير . حتى ليطالعنا كل مشهد منها بالحياة، فيختدع الحس بانه الواقع القريب . . وكلماتها ممثلة بنفسها، فليست تدني المشهد اليك حكاية شأن الالفاظ، بل ابرازاً حياً شأن الازميل او الريشة او الايقاع .

وابو صفوان هذا يحدثنا فيهـا : كيف تناءت دار ليلاه التي يهوى، فظل مسهداً . وكيف غدت فرقتها حكاية همس بين الاقربة، التي ذهب بعضها بارحاً بياسرة، وبعضها الآخر سانحاً ميامنة، فلفها شؤم مطيف . . ودون دارها سهوب مصحرة، كل شيء فيها يثير الوحشة البغيضة، فليست تتجاوب الا باصداء البوم والفواخت . الى مناهل خبثت ريحها، وذهبت سدى لا يردها انيس، فطمت وارتفعت . الى افاع تمردت على الحواة مغبرة اللون، كأنهـا الرشاء المديدة من حبال الآبار ، وهي صماء طويلة مدى الصمم ، صامتة طويلة مدى الصمت ، مغفية طويلة مدى الاغفـاء ، واسعة الاشداق من النوع « حـاري القرا » النـاقص الظهر وهو بالغ الخبث والضراوة، ولهـا نفثات تتطاير كالجمر المومض ، واعين ذات مآق حمر تبرق بالشرر في هامة مثل الرحى ، فهي اذا تثاءبت ابدت انياباً محددة معكوفة كالمدى، واذا اضطربت اعطافها وانثنى بعض منهـا على بعض كان لحفيفها مثل صوت الارحية الدائرة الهادرة، ولو اخذت بانيابها جانبي صخرة لاغرزت فيهـا، وطرائق زحفها تخط مثل « الانسع » الحبال المضفورة فرادى وثناء .

*

وفي هذه السهوب الموحشة شوقني نواح قمرية هتوف

وقـد صاده ضرم ملحم ، خفوق الجناح ، حثيث النجـا
حديد المخالب ، عاري الوظيف ، ضار ، من الورق ، فيه قنا
ترى الطير والوحش ، من خوفه جواحر منه ، اذا مـا اغتدى
فبـات عذوباً على مرقب ، بشـاهقة صعبـة المرتقى

فلمـا اضـاء له صبحه ، ونكب عن منكبيه الندى
وحـت بمخلبـه قـارتـاً على صدره ، من دماء القطـا

فصعّد في الجـو ثم استدا ر ، طار حثيثاً اذا مـا انصمى
فآنس سرب قطـاً قـارب جبى منهـل ، لم تمحـه الدلى

غدون ، بأسقية يرتوين لزغب ، مطرّحـة بالفـلا
يبادرن ورداً ، ولم يرعوين على مـا تخلف او مـا ونى
فملأن اسقية لم تشد بخرز ، وقد شد منهـا العرى
فأقعص منهـن ، كدرية ، ومـزق حيزومهـا والحشى

فطار ، وغـادر اشلاءهـا ، تطـير الجنوب بهـا والصبـا
يخلن حفيف جنـاحيه اذ تدلى مـن الجو ، برقـاً بـدا
فوّلين ، مجتهدات النجـا ، جوافل ، في طامسات الصوى

فابن عطاشـاً ، فسقّينهن مجاجـاتهن ، كماء السلى
وبتن يراطن رقش الظهو ر ، حمر الحواصل ، حمر اللها .

*

فذاك ، وقد أغتدي في الصباح بأجرد كالسيد ، عبـل الشوى
لـه كفل أيّـد مشرف ، وأعمدة لا تشكّى الوجى

فهجنـا به عانة في الصباح ، خماص البطون ، صحـاح العجى .
فولّين كالـبرق في نفرهن جوافل ، يكسرن صم الصفـا

فصوّبه العبد في اثرهـا ، فطوراً يغيب ، وطوراً يرى
كأن بمنكبه ، اذ جرى ، جناحـاً يقلبه في الهوا

فجدل خمسـاً ، فمن مقعص ، وشاص ، كراعاه دامي الكلى
وثنتـان ، خضخض قصبيها ، وثالثة ، رويت بالدمـا . . .

*

فرحنا بصيد الى آلنـا ، وقد جلل الارض ثوب الدجى
ورحنا به ، مثل وقف العروس ، أهيف ، لا يتشكى الحفا . . .

ابو صفوان الاسدي

طروب ، تتغنى بما يهيج الصبابات الغافية ، وتبكي بنشيج الضلوع لا الدموع . فقد اضاعت فرخها الذي طوفت من اجله كثيراً ، ولكن دون جدوى ، فارتدت يائسة وجرى اليأس في لحنها زفرات . انه تصيده من سباع الطير جائع نهم الى اللحم ، خفاق الجناح شديد المضاء والنجاء ، محدد المخالب عاري ما فوق الارساغ ضار على الطير ، في منقاره قنا واحديداب . . . وهو اذا كر راجعاً ، ترى الطير والوحش من رهبته منجحرات ترجف . ويوماً بات على نشز مشرف ، «عذوباً» لم يطعم . وما هو حتى تنفس الفجر فنفض عن منكبيه ندى السحر العالق ، وطفق يحك بمخلبه الدم اليابس . ثم امعن في الجو صعودا ، واستدار في محتبك الفضاء طائراً جاهداً ، و «انصمى» مندفعاً ابعد فابعد . . فاخذت عينه سرب قطا «قارب» يطلب الماء من جباوة منهل منقطع لم تغترف قبل منه الدلاء ، سرباً غدا بحويصلات كالاسقية يملؤها ليروي بهـا صدى افراخ مطروحة في الفلا . وتبادر قطاه الورد ولم يعطفن على ما انقطع او فتر وانياً .

وما هو حتى انتاش وتناول في خطفة بارقة من ذلك السرب «كدرية» قطاة عظيمة ، «فاقعصها» اذاقها الموت ذعافاً صرفاً ، ومزق الصدر منها والاحشاء ، ثم اصعد وقد ترك اشلاءها في مهب الرياح ، من صبا وجنوب . . وكان لجناحيـه خفق يومض ايماض البرق ، فولى السرب طالباً النجاة مجفلاً ، في دارس من الطرق لا يهتدي فيه . . وآبت جماعة القطا الى افراخهن وهن عطشى ، فامصصنهن لعاباً كماء الاجنة ، وبتن يناغمن فراخهن المنقطة الظهور الحمر الحواصل والحلوق . .

*

وكان ذلك حين اغتدي مع الصباح بحصان «اجرد» قصير الشعر ، كأنه الذئب ، عبل مملوء «الشوى» الاطراف ، وله روانف قوية مشرفة ، وقوائم كأنها الاعمدة لا تشتكي «الوجى» الالم في باطن الحافر مهما اعملت . . وبهذا الفرس هجت قطيعاً من بقر الوحش ضوامر البطون صحيحات الاعصاب ، فولين كالبرق . . . ولكنه طرح منهن خمساً ، فمن قتيلة بعكانها منكسة ، ومن شاصية مرتفعـة دامية الكراع والكلى ، ومن مرضوضة الامعاء ، ومن غارقـة بالدماء .

ولقد قفل عليه وهو مثل «وقف العروس» خلخالها العاجي ، في تصلبه وتماسكه ، لم تمسه نهكة ، ويضعضع منه كلال . . .

«ابو عباد»



فلسفة التشريع في الاسلام

للدكتور صبحي محمصاني – ٣٣١ صفحة – مطبعة الكشاف بيروت

كتاب هو الاول من نوعه في لبنان – فيما اعلم – عنوانه يغري بالاطلاع عليه وموضوعه يهم كل دارس وباحث ومؤلفه عالم فاضل .

وفي الحق اني ما بدأت مطالعته حتى وجدتني مدفوعاً الى قراءته ، حريصاً على اتمامه . ولست اعلم اكان الباعث على هذا الحرص اعجابي بالدكتور محمصاني ام قيمة الكتاب الذاتية ام هما معاً ؟

اما الدكتور محمصاني فكنت احب فيه رزانته واستقامة تفكيره ورجحان رأيه ودقة حكمه على الاشياء ورغبته الصادقة في احياء التراث العربي ولفت النظر الى مآثر السلف والاغراء بالتعرف اليها .

وهو الى ذلك كله متواضع تواضعاً قل ان ترى عليه من ظفروا بمثل حظه من العلم وتمتعوا ببعض ما يتمتع به من ثقة .

وانا ارجو الا يحمل القاريء كلامي على المبالغة او يرى فيه اسرافاً في الثناء ، فليس الدكتور محمصاني بالنكرة حتى اعرفه الى قراء الاديب ، ولا هو في حاجة الى تزكية ، وقد ظفر بتقدير الاسرة القضائية التي هو من المع اعضائها ، وبثقة الحكومة التي ندبته مستشاراً لوفدها في سان فرنسيسكو .

اما الكتاب فتنتظم ابوابه طائفة كبيرة من الابحاث الممتعة المنسقة ، وجميعها يتسم بالدقة والوضوح مع الاحاطة والشمول ، وهي عرض مشرق لمباحث الفقه واصول التشريع الاسلامي وتعريف برجاله وموازنة بين مبادىء الشرع الاسلامي واصول التشريع الحديثة .

وفصول الكتاب كلها تنبيء عن الصبر والجلد اللذين تكلفهما المؤلف السنين الطوال في القراءة المتصلة والمراجعة المضنية حتى اهدى الى القارىء العربي ذلك السفر القيم .

ولن يقدر هذا المجهود قدره الا الذين سعدوا بتحمل عناء الاتصال ببعض هذه المراجع التي لا تحصى من الكتب الصفراء وغيرها ، والتي اغرم بها المؤلف . وحرص على ان يستخرج دفائنها من الكنوز الثمينة واهدائها غنيمة الى المتعطشين للمعرفة .

وهو بذلك قد قربها ممن حرموا لذة العلم بها من مصادرها ، واساغها ، واطمأن اليها ، من كان لهم حظ من التخصص في هذه العلوم وقدرة على الرجوع اليها في مظانها .

كما انه افاد التشريع الاسلامي بهذا اللون الجديد من العرض الذي اتاح للقاريء فرصة الموازنة بين هذه الشريعة السمحة التي عمرت اربعة عشر قرناً ولا تزال شابة وضيئة – وبين غيرها من القوانين الوضعية . . وبذلك برهن على ان القدم لا ينافي الجدة والصلاحية ، وان ليس كل قديم عنوان الجمود حتماً .

ولم يكن غريباً ان يغرم الدكتور محمصاني بهذه الكتب (المطبوعة طبعاً قديماً متلاصقاً على ورق اصفر رخيص الى ما فيها من الحواشي والهوامش) التي جعلت مطالعتها عسيرة (وأورثت في بعض الناس ضجراً وسأماً فتركوها او هجروها متأثرين بالشكل الخارجي دون الجوهر الحقيقي) .

انما هو فقد فتن بها (لانها تخزن من الكنوز الفكرية ما يفوق التقدير ولانها تحوي ثمرة الجهود الجبارة التي قام بها الاسلاف في هذا الميدان ، وزبدة الافكار التي تركوها .

لهذا لم نعجب ان يكون غرضه الاول من تأليف الكتاب (ان يبيض هذه الدفائن الصفراء ما استطاع وان يضع ما يستخرجه امام ما يقابله من الاراء الحديثة ، مبيناً اوجه الخلاف واوجه الوفاق مع حجج المؤيدين والمخالفين لهذه الاراء) .

كما كان حريصاً على ان يوضح وجهة النظر الاسلامية في التشريع الى الاجانب والى المثقفين بثقافتهم ايضاحاً حقيقياً ، يزيل به ما علق ببعض الاذهان من اثر سيء وتصور غير صحيح لمبادئه القويمة نتيجة التدجيل والتضليل الذي جنح اليه بعض من تصدوا للكتابة في مثل هذه الموضوعات من المتغرضين والمتطفلين .

كذلك عني من جهة اخرى بان يقرب الاسلوب القانوني الغربي الى المطلعين على الشرع الاسلامي والى بيان الفروق والموافقات بين الطريقتين ما استطاع الى ذلك سبيلاً .

وعلى هذا الاساس وفي ضوء هذه الفكرة قسم المؤلف كتابه الى خمسة ابواب كبار تنتظم فصولا كثيرة .

يبدأ اولها بتعريف علم الفقه وتقسيمه والمقابلة بين هذا التقسيم وبين تقسيم القوانين الوضعية الحديثة، ثم يحدثنا عن انقسام الفقهاء الى اهل الرأي واهل الحديث والاثار التي ترتبت على هذا الانقسام، مستعرضاً مذاهب اهل السنة والشيعة مبيناً ما بينها من فروق واختلافات في اصول الفقه وفروعه ، مع التعريف بائمة المذاهب المختلفة، ما بقي منها وما اندثر ، وبتلاميذهم واتباعهم ومبلغ انتشار مذاهبهم في الاقطار الاسلامية وما خلفوا من كتب، متتبعاً الادوار التي مر بها التأليف في عصر الاجتهاد وعصر الجمود حتى رأينا (متوناً مختصرة وشروحاً وشروحاً للشروح وحواشي وتكملات وجوامع الفتاوى وتنقيح الفتاوى وما اليها) .

ثم تحدث عن القوانين العثمانية ومجلة الاحكام العدلية ، وبين حركة التشريع في البلاد الشرقية .

ولما كان التشريع الحديث يستمد اصوله من الشرائع الاوربية التي تأثرت الى حد كبير بالقانون الروماني فقد اضطر الى ان يعرض كل هذا عرضاً سريعاً ينتهي به الباب الثاني من الكتاب

اما الباب الثالث فقد خصص فصوله للكلام عن مصادر التشريع الاسلامي : الكتاب والسنة والاجماع والقياس، فوفاها حقها من البيان الموجز باعتبارها ادلة متفقاً عليها ثم انتقل الى الادلة الشرعية الاخرى كالانصاف والخير المطلق والاستحسان والمصالح المرسلة و . . .

كذلك تحدث عن الاجتهاد والتقليد وشروطهما وادائهما واضطره هذا ان يشير الى الاجتهاد في المحاكم اليوم وان يلتفت التفاتة خاطفة الى الاجتهاد عند الرومان .

وفي الباب الرابع فصول عن مصادر التشريع الخارجية ، فتحدث فيها عن مبدأ تغير الاحكام وعن العرف والعادة والحيل الشرعية وموقف الفقهاء منها وما يجيزونه وما لا يجيزونه . .

وقد عقد فصلا ختامياً للكلام عن علاقة الشريعة الاسلامية بالشريعة الرومانية واختلاف الباحثين فيها وحجج كل فريق لينتهي الى نتيجة قيمة هي : ان الموافقة بين الشريعتين الاسلامية والرومانية طفيفة جداً بالقياس الى الفروق .

وان هذه الموافقات لا تدل بحد ذاتها على تأثر الاولى بالثانية .

وليقرر : ان الحقيقة التي لا ريب فيها هي :

ان الشريعة الاسلامية قائمة بذاتها غير منقولة عن غيرها فهي شريعة مستقلة تمام الاستقلال لها اصولها الخاصة وتاريخها المجيد .

وقد خصص فصول الباب الخامس والاخير للحديث عن بعض القواعد الكلية مهد لها بمعلومات عامة ثم تحدث عن حكم الضرورة والحاجة ، والقصد في الافعال ، ومبادىء عامة في البينات . تكلم فيها عن واجب الاثبات ، والاقرار ، والبينة الشخصية ، واليمين ووسائل اخرى في البينات كالبينة المعاكسة والبينة الخطية الخ.

ويختم الباب بفصل في قواعد عامة شتى ، كمبدأ التابع تابع ، والغرم بالغنم ولا ضرر ولا ضرار وهكذا . . . ينتهي الباب الخامس وبه يتم الكتاب . وبعد فهأنا قد عرضت لك صورة موجزة لما في الكتاب من مباحث قيمة ارجو الا اكون شوهت جمالها بهذا العرض السريع .

ولعلك لاحظت معي ان هذا السفر الممتع قد جمع بين دفتيه – على ايجازه البالغ – من المباحث والموضوعات ما تحفل به مجلدات ضخمة . . . فلا عجب ان رأينا بعضها كأنه رؤوس اقلام كان من الممكن ، بل من المستحب ان يبسطها المؤلف بعض البسط ، ولا عليه لو جاء كتابه في جزءين بدل جزء واحد .

ومع هذا فلم ينتقص هذا الايجاز الشديد من قيمته ، فانك لا تحس فيه خللا أو اضطراباً وهو على هذا النحو مظهر من مظاهر وضوح الفكرة وحسن تصورها عند المؤلف حتى استطاع ان يعرضها هذا العرض الموفق في هذا الايجاز الدقيق غالباً .

والقد كان الدكتور الفاضل اميناً في النقل ، يرد كل قول او رأي الى مصدره ، وبذلك أتاح لمن احب التوسع او التعمق ان يرجع الى الاصول ، وقد هداه اليها واغراه بها ولو كانت بطون (هذه الكتب الصفراء) المزعجة ! !

كذلك رأينا شباب المؤلف قد اضفى على كتابه شباباً ونضرة وجدة ، وصفاء ذهنه واشراقه قد انار لك السبيل كما ان تواضعه قد اشاع في نفسك الاطمئنان الى ما كتب فاصبح قريباً الى قلبك وعقلك، بعيداً عن ان ترى فيه صورة لتكبر المغرورين واعتزاز المفتونين

فليهنأ القارىء المثقف بهذه الدراسات الممتعة التي جلت لنا اوضح جلاء جهود علماء المسلمين في العصور المتعاقبة ليوطدوا اركان الشريعة الغراء ويقرروا مبادئها، واظهرت لنا في وضوح أثر العقل العربي في ذلك التراث الخالد الذي خلفه لنا السلف مجد عنوان وفخار .

ولعلنا نرى في اثارهم وفيهم قدرة صالحة واماما مرشداً يهدينا السبيل وينهض بنا الى مصاف العاملين . فنحن في عصر لا يفوز فيه بالتقدير والاكبار الا العالم العامل .

عبد العزيز احمد
مدير كلية فاروق الاول الشرعية ببيروت

حواء الخالدة

مسرحية لمحمود تيمور بك – ١٧٠ صفحة – القاهرة

وهذا محصول جديد من نتاج اديب مخصب ، له في كل شهر محصول جديد .

وقد يخطر للقارىء ، اذا ما طالعه هـذا العنوان المغري ، ان الكاتب قد تناول في مسرحيته احدى فتيات اليوم ، ليقول لنا في الختام : « ارأيتم كيف تعيد المرأة نفسها – حواء الاولى » التي بعثت في آدم « الاول » شعوره الانساني بالجمال ، هي حواء « العصر » هـذه ، وكل عصر ، التي تبعث في « الاوادم » ، من كل مجتمع ومصر ، شعورهم بالحياة الانسانية ، وتركز فيهم كل شعور آخر في هذه الحياة .

وقد يترقب القارىء ان يرى في اشخاص هذه المسرحية نساء اليوم ورجال هـذه الحقبة من تاريخ البشرية – اي تاريخ حواء كذلك – وما تصطبغ به من الوان المدنية الحاضرة واصباغ التقاليد الاجتماعية الراهنة .

ولكن الواقع هو ان المؤلف الفاضل قـد آثر ان يعالج كل هذا وذاك في نوع خاص من « نساء التاريخ » – فاختار واحـدة منهن ، من هـؤلاء اللواتي يشغلهن الحب عن كل شيء ، ويشغلن بدورهن الرجل عن كل شيء ، فوضع يده على اعظمهن قـدراً ، واحلاهن ذكراً في هـذا الشرق العربي ، عنيت عبلة ، ثم راح يصورها من خلال الواقع والاسطورة ، كما شاء له خيـال اديب يعيش في وادي النيل الخصيب ، بين قصور القاهرة العامرة ودورها المترفة .

فالموضوع كما ترى اذن عتيق – واعني انه نبيل كريم المحتد – ولا بد ان تكون مسرحية تيمور قد زادت في جـلال قدره ورفعت من جميل ذكره . الا ان القارىء يحار بين الصورة التي في خياله من عبلة – عنترة – البداوة ، وبين الصورة التي احب المؤلف ان يعرض بها عبلة – عنترة – الحضارة .

وعلى الرغم من هذا التقلقل في تركيز المشاهد – من الناحية الزمنية – وقد يكون في هذا التقلقل الزمني كل الفن وجماع الابتكار – فان لذة المطالع لا يعادلها الا استئناس المشاهدين بما يضفيه الممثلون العصريون من ماديتهم الحضارية على روحيـة الاشخاص البدوية – بحيث تخشن تلك الى حد ، وتنعم هذه الى حد ، فلا يطغى الحاصل الادبي على الواقع التاريخي ، ولا يفسد هذا الواقع الساذج ذلك الحاصل المركب .

وان فن تيمور الصاعد – وعبقريته التي تجد لهـا في كل يوم مطلّا جديداً – دون ان تكون دائماً بحاجة الى التقيد بالمقـاييس المتواضع عليها ، واصول الفن التي يعمل هو نفسه احيـاناً على اشاعتها (١) – لفن يجد المطامع في كل كتاب يصدره هذا الاديب دليلا اثر دليل يقوم على رسوخه .

« وحواء الخالدة » كتاب من النوع الذي تطالعه بشوق فلا تدعه الا وقد اتيت على آخره في جلسة واحدة .

وارجو ان يكون شأن اخراجه على المسرح كشأن مطالعته في غرفة على انفراد – اي دليلا جديداً على عبقرية اديبنا الكبير محمود تيمور .

رشاد المغربي دارغوث

العمل لمصر

للاستاذ محمود كامل – ٢١٦ صفحة – مطبعة الاعتماد – القاهرة

الكتب الانشائية البنائية ، التي تحرض على البعث وتحدد خطة النهضة وبرامج العمل المثمر ، بالغة الندرة بالغة القلة . رغم انها في مقدمة حاجتنا الماسة ، او بالاحرى هي كل حاجتنا في اتجـاه اندفاعنا المنطلق .

ومرد ذلك ، الى ان الادباء او اكثرهم الذين يحفل بهم المجتمع العربي ، لم تستو فيهم طبيعة الادب كشخصية وحقيقة وجود ، بل استوت فيهم شكلية الادب كصور خوالب والوان .

والفن الذي ينزل من الحياة منزلة عبقريتها ، براء من اي اثر يخلو من الحياة او ايهامها . فكما لا يبقى من النحت الا المحـاز والخطوط اذا خلا من الحياة او مسيسها ، ليس يبقى من الادب الخالي من حس الحياة ورغباتها واهتزازاتها الكبرى والاخرى الداخلة في حد الرعشات ، الا شيء كالحروف في شيء كالالفاظ .

ان متطلباتنا ووسائل التجهيز لكياننا كافراد او كجماعات ، لا تجد اصداءها بلاقاعدة انطلاقها ، لا تجد صورها بله مجون ابنائها ، على اقلام الادباء الاكثر عدداً . فان للادب في مفهومنا معنى ، وفي خيالنا صورة ، تبتعدان به عن ذلك الركام الادبي الهامد . انه ركام يعلو ، ويعلو كذلك ركاماً فقط ، ليس يغري الحي به كما ليس يجتذب اليه الحياة .

انه « طحلب » يملأ وجه الغمر موهماً انه منه او انه مستخلصه البكر ، وهو في عرف الماء علامة احتضار جوهره فيه . . .

(١) اطلب « فن القصص » للمؤلف نفسه

وهذا الكتاب « تلويح » من اجل بعث دولة واحياء مجد ، وهو تلويح خير كريم ، فيه حرارة الرغبة وصدق العمل في واع من الاتجاه . وكم كنت اتمنى لو لم يكن في اطاره العام ذاتياً متوتراً ، فبدا على كل موضوعية فيه ، خـذه في ص ٢٧ حيث يستخدم من اجل مصر العظمى منطقاً ، لا يزيد عنه كثيراً منطق بريطانيا العظمى الذي به تسوغ وجودها في مدى حدودها . كما جرته هذه الذاتية المتوترة الى المناقضة الجغرافية ، بين ص ٢٧ وص ٢٨ خذ بند برنامجه الثالث « افريقيا للافريقيين » وقابله بالبند الثاني الذي هو اسيوي في جزء غير يسير منه .

وكم كنت اتمنى ايضاً لو كان هذا الكتاب او هذا البرنامج ، اكثر اقتداداً في الفقه الكياني للقومية او الوطنية ، فهو في الفصل الاول والثاني يبدو وطنياً صرفاً يعتمد الارض قبل كل شيء ، وفي الفصل الثالث يبدو قومياً يعتمد الكائن قبل كل شيء ، وبين القومية والوطنية اختلاف حتى لتنقض احداهما على الاخرى اذا اخذنا بكل تفاصيلها ، وان كان على اقلام المرتجلين اليوم نزعة تجيز الخلط بينهما .

ومهما يكن من شيء ، ففي الكتاب ثورة مباركة ، ورغبة حرة ، وخطة واعية في اكبر اجزائها تبشر بشيء جديد .

عبدالله العلايلي

مثير الغرام بفضائل القدس والشام

ألفه احمد بن محمد المقدسي (٧٦٥ هـ) وحققه وعلق عليه الاستاذ أحمد سامح الخالدي – ٧٦ صفحة – مكتبة الطاهر بيافا

في الخزانة العربية مؤلفات كثيرة في فضائل البلدان . ولعل الشام قد فازت من اشباه هذه المؤلفات التي تعدد محاسنها وتشيد بفضائلها ، بما لم تفز به غيرها والكتاب الذي نعرفه الان هو احد هذه الكتب . وهو كتاب جليل يتألف من قسم يتعلق بفضائل الشام . . . وقسم يتعلق بفضائل المسجد الاقصى .

وقد عني الاستاذ المحقق الدكتور احمد سامح الخالدي باخراج الفصل الاخير ، فقط ، من هذا الكتاب ، فقدم له بمقدمة بين فيها المصادر التي اعتمد المؤلف عليها ، والنسخ التي وجدها منه ، ثم سرد ما وجد للمؤلف من ترجمات في الدرر ، وتاريخ الانس الجليل ، وكشف الظنون ، واعلام الزركلي .

اما الفصل الذي انتقاه الاستاذ من الكتاب كله ، فهو فصل فيه ذكر الصحابة والتابعين وغيرهم الذين زاروا بيت المقدس .

وهذا الفصل ، اشبه ما يكون بقائمة لمن ورد القدس من الصحابة والتابعين والفقهاء والمتصوفة والفلاسفة والملوك . وبين هؤلاء من أحب فلسطين ، او درس فيها ، او دافع عنها ، او حماها ، او شاد وعمر في ارضها .

وقد صحح الاستاذ الخالدي هذا الفصل . وقابله على نسخة دار الكتب الظاهرية ، وعلق عليه ، والحق به جداول مختلفة .

اما التعليقات فتختصر بترجمة لمن ذكرت اسماؤهم في الفصل ، او بيان لمواقع بعض البلدان ، او سرد المصادر التي ترجمت للاشخاص ، او تحديد لسنوات الوفيات .

اما الجداول ، فهي المصادر التي ورد ذكرها في المخطوط ، ولاسماء البلدان والمدن والاماكن ، وللاعلام .

*

ان نشر هذه الكتب التي تبحث في تواريخ البلدان وفضائلها لعمل جليل جداً ، ولو ان كل عالم انصرف الى تحقيق ما يتعلق ببلده من الكتب المخطوطة ، ثم نشرها ، لعرف الناس ماضي بلادهم كما يعرفون حاضرها ولأدركوا ما كان في ارضهم من مفاخر وامجاد ، ولاستمدوا من هذه الامجاد قوة يبنون بها مستقبلهم ، وينهجون بها نهج اجدادهم . فمن هذه الناحية ، يعد نشر هذا الكتاب ، وتصحيحه والتعليق عليه عملاً جديراً بالشكر الجزيل .

ومن الامور التي بدت لي عند قراءته ما يلي :

١ – اعتقد ان من المفضل ان ينشر الكتاب كله فهو وحدة ، قيمتها تظهر بمجموعها ، لا بجزء او فصل منها .

٢ – اختلف في اسم الكتاب ، ولم يشر الاستاذ الى ذلك . فقد اثبته « مثير الغرام بفضائل القدس والشام » ، ونسخة المكتبة الظاهرية سمته « مثير الغرام في فضائل الشام » وسماه صاحب كشف الظنون « مثير الغرام الى زيارة القدس والشام » ، وبهذا الاسم اثبته لوسترانج G. Le Strange عندما تكلم عليه في مجلة J. R. A. S. سنة ١٨٧٧ وكذلك استقى منه في كتابه المسمى Palestine under the Moslems.

٣ – اثبت الاستاذ الخالدي اسم صاحب كتاب « مثير الغرام . . . في فضل زيارة الخليل . . » كما يلي : « اسحق بن ابراهيم . . الديري » وما ادري الى اي دير ينسب . وقد ورد اسمه في الطبعة الحديثة لكشف الظنون (التي طبعتها جامعة اسطنبول ٩٤٣ م) : « الدميري » وقال مصحح الكتاب « التدمري » وكذا اثبته Mettwes في مقدمته لهذا الكتاب

(لمثير الغرام في فضل زيارة الخليل . . .) الذي حققه واخرجه في مجلة J. P. O. S في المجلد XVII سنة ١٩٣٧ .

٤ – لم يشر الاستاذ الى الصحيفة الاصلية من المخطوط التي بدأ الفصل الذي نشره بها ، وكذلك لم يشر في ثنايا النص الى ورقات الاصل ، في اي مكان تبدأ ، واي مكان تنتهي . وقد كان من الاحسن اثبات ذلك .

٥ – ومن الهنات التي لاحظتها اثباته كلمة « المتوفي » في الصفحة الاولى وصوابها المتوفى بألف مقصورة : وفي ص ٥٢ عند كلام المؤلف على ابراهيم بن ادهم « يصبر على الجهد الجهيد والفقر الشديد والورع الدائم والسخا الوافر » فكلمة السخا كما اثبتت خطأ . فهي اذا كانت ممدودة ينقصها الهمزة ، وان جعلت مقصورة كتبت « سخى » كما في القاموس .

ومهما يكن من امر ، فاننا نهنئ الاستاذ الخالدي على عمله ، ونرجو ان يخرج الكتاب كله ، الى جانب ما سيخرج من كنوز الخزائن ، فيسدي الى فلسطين والعرب جميعاً خدمة جلى .

دمشق — صلاح الدين المنجد

ثورة في ابرج العاجي

للسيدة منيرة ثابت – ١٩٠ صفحة – دار المعارف القاهرة

تتناول الكاتبة في هذا الكتاب مذكراتها في عشرين عاماً ، وهي وصف لمراحل متتالية من الجهاد والعمل في سبيل انالة المرأة المصرية حقوقها السياسية ، وهي ثورة على الرجال لاستئثارهم بالسلطات وتمتعهم وحدهم بالحقوق ، على الرغم من ان المرأة تؤدي الواجبات المحتمة عليها كما يؤديها الرجل سواء بسواء . والكتاب ينقسم الى ثلاثة اقسام تتحدث المؤلفة في اولها عن جهادها المتواصل من عام ١٩٢٤ الى عام ١٩٣٨ ومقالاتها في الصحف والمجلات ومطالبتها بتخصيص مقاعد للمرأة لحضور جلسات البرلمان ، ويتناول القسم الثاني الحديث عن مؤتمر الاتحاد النسوي في عام ١٩٣٩ بكوبنهاغن وعن المرأة المصرية فيه . اما القسم الثالث فيسرد حياة المؤلفة منذ بداية الحرب حتى عام ١٩٤٥ ، ومواصلتها نشاطها لدى الدوائر الحكومية في سبيل الغاية التي تسعى اليها ، ومقابلتها لشخصيات ادبية وسياسية وما تبودل بينها وبينهم من احاديث .

ولا ريب في ان القارئ شاكر للمؤلفة الفاضلة نشاطها وجدها في سبيل المرأة المصرية ، وحامد لها سعيها الحثيث في شتى المناسبات والظروف ، ولكننا كنا نؤثر ان تتناول المؤلفة جوهر قضية المرأة ، وتدرسها درساً منطقياً يعتمد قبل كل شيء على التحكيم العقلي ، على ان تكتفي بسرد مراحل الجهاد التي اجتازتها ، على الرغم من ان هذا الجهاد مشكور لها ، وان كانت شديدة الاعتزاز والفخر به !

واحسب ان القارئ هو اجدر بالعطف على قضية المرأة ، منه بتأييدها والدعوة لها ، حين يفرغ من مطالعة هذا الكتاب . ولعل ذلك راجع الى ان حضرة المؤلفة كان يهمها قبل كل شيء ان تعرض ما قامت به من اعمال في سبيل جعل المرأة المصرية ناخبة ومنتخبة ، ولكن الذي يدعو الى الاعجاب حقاً ، مثابرة السيدة ثابت ودأبها على العمل ، على الرغم من العقبات (التي غالباً ما تكون كأداء) التي واجهتها ، وهذا يضعها ولا شك في مصاف المصلحين ، او قل المصلحات ، وان عددهن لقليل !

ولما كانت هذه الفصول مجرد مذكرات ، فمن الطبيعي الا تعتمد على منهج معين للبحث ، سوى تقسيمها الى مراحل زمنية . والذي يلاحظ ان المؤلفة تحب الفكاهة ، وتقصد الى ان تجعلها لاذعة من غير مرارة ، ولكنها لا تجيدها كثيراً ، واما الاسلوب فسهل بسيط ليس فيه اثر للتكلف او التزويق ، ويبدو للقارئ ان المؤلفة تجد اليسر كله في التعبير عن ارائها .

واياً ما كان ، فاننا نرجو المرأة العربية في هذا العهد ، عهد التحرر الذي يستقبله العرب في كل مكان ، ان تنفض عنها ثوب الخمول ، وان تبرز في النساء ، وللنساء ، مجاهدات مثقفات عاملات كالسيدة منيرة ثابت .

سهيل ادريس

مطالعات فارسية

للدكتور يحيى الخشاب – ١٩٦ صفحة – دار الكاتب المصري

كان للادب الفارسي اتصال وثيق بالادب العربي في مراحل مختلفة من التاريخ ، وخاصة في العصور العباسية ، وكان من اثر هذا الاتصال ان تبادل الادبان التأثر والتأثير في مناحي شتى من الشكل والموضوع .

ومن الفنون التي امتاز بها الادب الفارسي واضفى عليها جواً شرقياً ساحراً ، القصة التي تمتزج فيها الحقيقة بالخيال ، والواقع بالاسطورة ، حاملة في ثناياها العبرة والحكمة والايماء . .

والقصص الفارسي اربعة انواع : قصص الملوك الذي يدور

حول ما يجب للملك من رعيته وما يجب عليه نحوها، والثاني قصص هدفه العبرة والعظة والثالث قصص يرمي الى الايحاء والرمز في تصوير الاحداث، والرابع قصص تاريخي لاذكاء الروح الوطني.

وقد اختار الدكتور يحيى الخشاب مدرس اللغة الفارسية بكلية الآداب بجامعة فؤاد مجموعة من القصص الفارسية في كل من هذه الفنون ونشرها في كتاب.. لا على انها ترجمة امينة دقيقة للاصل الفارسي. ولكنه تصرف فيها تصرفاً ملائماً لنفس القارىء العربي وذوقه.

وقد اختار الدكتور الخشاب اكثر القصص من كتاب «كلستان» اي حديقة الورد وكتاب «بستان» وهما كتابان للشيخ سعدي الشيرازي، وكتاب «سياست نامه» اي كتاب السياسة، وكتاب جهار مقاله (المقالات الاربع) لمؤلفه نظامي عروضي السمرقندي، وكذلك اختار بعض الحكايات من كتاب جامع الحكايات.

والمؤلف في اختياره هذه المجموعة الطيبة من الادب الفارسي، يؤدي خدمة لا تقدر، للقراء الذين يشغفون بالادب الشرقي وليس في وسعهم الاطلاع على النصوص في لغتها الاصلية، وللادب العربي الحديث عندما يعاود الاتصال بالآداب التي كان له معها ماض مجيد.

فللدكتور الخشاب التهنئة على توفيقه، ولزميلتنا دار الكاتب المصري الشكر لاخراج هذا الكتاب.

بيمارستان نور الدين

للاستاذ صلاح الدين المنجد – ٦٠ صفحة من القطع الكبير – دمشق

هذا هو الكتاب الثاني الذي يخرجه الاستاذ صلاح الدين المنجد عن آثار دمشق، فمنذ شهرين اصدر كتاباً عن «دمشق القديمة اسوارها، ابراجها، ابوابها». واليوم يدرس ابنية دمشق التاريخية بادئاً «ببيمارستان نور الدين».

ويتناول الكتاب ترجمة لحياة نور الدين، وآثاره في دمشق، ثم بيمارستانه وكل ما يتصل به من تفاصيل مثل موقعه وسبب بنائه، واطبائه، وخزانة كتبه، ودروس الطب فيه، وما طرأ عليه من احداث، وتخطيطه، وزخارفه المختلفة وكتاباته القديمة والمتأخرة.

وهذا النمط من الدراسة العلمية المستندة الى مصادر بعضها مخطوط وبعضها نادر ان لم يكن مفقوداً.. يحيط به مصاعب لا يتغلب عليها الا جهود مضنية متواصلة، وخاصة ان اللغة العربية لم تشهد قبل الآن مثل هذه الدراسة المفصلة التي تتناول بالبحث العلمي الدقيق اثراً من آثار سورية التاريخية، والتي تجمع بين كل ما كتب عن هذا الاثر في مختلف اللغات.

ويتخلل الكتاب صور ورسوم هندسية توضح الدراسة وتخطط اهم المواضع في البيمارستان.

التربية البدنية

للاستاذ محمد كامل علوي – ١٩٨ صفحة – دار المعارف بمصر

يعالج المؤلف في كتابه العيوب الجسمانية الشائعة، ويتناول طائفة من التمارين العلاجية، ويبين نواحي النشاط الرياضي، ومقاييس القوة البدنية، والانواع العضلية، والتدليك كعلاج رياضي، والادوات والاجهزة التي تستعمل في العلاج الرياضي، ويختم الكتاب بصور واشكال تبين الاوضاع المختلفة للاجسام ليحتذيها اللاعب عندما يريد ان يمارسها. وهذه التمارين مقتبسة من التمارين السويدية المعروفة وتمتاز بأنها سهلة التناول يعالجها الناشىء في ملعبه ويمارسها الكشاف في مخيمه والرياضي متى شاء دون ان يضطر الى استعمال جهاز او آلة ما.

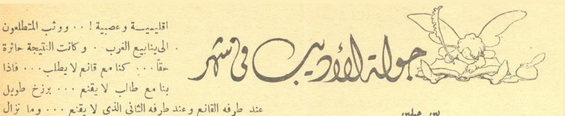
وبالرغم من ان الكتاب لم يخل من عبارات ركيكة الاسلوب، وكلمات عامية او اجنبية لم يعربها المؤلف، فانه يسد فراغاً واسعاً في التربية البدنية وثقافتها المبنية على احدث النظريات العلمية والصحية.

من البنسلين الى القنبلة الذرية

للاستاذ علي رشيد شمث – ١٢٦ صفحة – المكتبة العصرية بيافا

كتاب علمي في اسلوب ادبي. ولكن هذا الاسلوب الادبي الذي يتخذه المؤلف وسيلة لتقريب العلم الى القارىء وتشويقه اليه، قد يبالغ فيه بعض المبالغة فيكتنفه خيال وغلو ثم اسراف فيهما.

هذه الملاحظة اول ما تجبه القارىء في قراءته لهذا الكتاب، ثم يطوف في رحلة ممتعة حول ميادين العلم والاطوار التي اجتازها الى ان يصل الى نهاية المطاف وقد وجد نفسه بين معسكرين من العلماء احدهما يعمل لخلود الانسان فيصنع البنسلين ويقضي على الميكروب، بينما راح الاخر يلهو بالقنبلة الذرية، يوشك ان يدمر بها العالم...



اتجاهات وهموم في ادبنا

بقلم صلاح الاسير

بين جيلين

لا اعرف نقلة اضطربت بين عصرين كنقلة الادب والفكر العربيين في الجيلين الاخيرين ! .. ذلك ان جموداً صاعقاً غمر البلاد العربية طوال خمسة قرون، ولو مرت ظلمات ذلك الجمود على اية بلاد لقضت على كل خصائصها وينابيع الحيوية فيها ، ولكن عروق الحياة في امة العرب اعمق من ان تذهب بها موجة دخيلة اعجمية . ولكن تلك الموجة الدخيلة قد شلت تيارات التقدم ، واوقفت التفاتات الفكر ، وعقدت السنة الشعراء واقلام الكتاب، واصبح الادب العربي محاكاة وتقليداً للقديم من اداب العرب ، لذلك كان صباح القرن التاسع عشر يحمل على اضوائه اشلاء ادب مهلهل لا يعتمد الفطرة والكدح، بل يعتمد المحاكاة والتقليد ، وفي بحران القرن التاسع عشر ، بدأت تباشير نهضة طيبة الاصول ، تنضح على ضوء فكرة الانعتاق السياسي ، وفي جو هذه الفكرة اقبل العرب على الاحتكاك بشؤون الغرب ونتاج الغرب الفكري والادبي ، ولكن تلك النهضة على سلامة اتجاهاتها ظلت لا تفي بالمطلوب ، ولا تنهض بالعبء ، بل تركزت على اساليب تحد من جهد المتحرر وتطلع المتبصر ..

ولعل القائمين على شؤون تلك النهضة قد خافوا الشطط في التطرف ، فوقفت جهودهم عند المحاولة ! ..

وعلى الرغم من ذلك الجهد الذي وقف، كانت صيحات محدودة الاثر مخلصة الصدى تتعالى بين حين وحين من حناجر المتحررين، وكان لهذه الصيحات اثر بالغ في البعث الذي اطل مع فجر القرن العشرين .

وعند وصيد القرن العشرين ابتدأت نهضة البعث الحق في لبنان ومصر وجميع الاقطار العربية، التي تطلقت فجأة بعد سبات عميق الى محلها تحت الشمس على ضوء تاريخها المثقل بالامجاد ، وتشعبت تيارات تلك النهضة ، فكانت تتلاقى وتتفرق بين اقليمية وعصبية ! .. ووثب المتطلعون الى ينابيع الغرب . وكانت النتيجة حائرة حقاً .. كنا مع قانع لا يطلب ... فاذا بنا مع طالب لا يقنع ... برزخ طويل عند طرفه القانع وعند طرفه الثاني الذي لا يقنع ... وما نزال عند هذا البرزخ على حيرة صارخة ! ..

مذاهب في الشعر

جيلان في صراع ، هذه حقيقة لا تحتاج الى تأكيد ، كان الشعر العربي قافية وكلاماً موزوناً واحتفاء بصاحب السلطان ورجل الدولة ومراسلة الصديق ، والبكاء على الاطلال شأن الرصيف القديم امرىء القيس يرحمه الله . فاذا بالمذاهب الجديدة، تحرك الجامد وتعيد الحروف السوداء الى اوراقها الصفراء ، واذا بالشعر يتغلغل الى ازمات النفس ونوازع الوجدان ، ودخائل الصدور على حبك ونسج فيهما موسيقى بعيدة القرار يضفي عليهما اختيار الحرف والكلمة جواً جديداً لا عهد للناس به من قبل ...

ولقد هيأ شوقي لهذه النهاية ، وعمل لها بعد ذلك كثيرون ، ولكن العاصفة هبت من هنا من لبنان فتركزت المحاولة واصبحت القضية قضية الموضوع الشعري كله في طرائق الحائه وبنائه والمشادة ما تزال قائمة ، فثمة شعراء يعيشون اليوم على التقليد والمحاكاة وثمة شعراء يعيشون على الانفلات والانعتاق ، ويتهم الاولون الاخرين بالسير على سياق الغرب والانتهال من مناهله ويتهم الاخرون الاولين بالوقوف على الرمال وقوف الزملاء الذين سبقونا الى هذه الدنيا، وانتهاك حرمة اساليبهم وتقليدهم في عالمي المبنى والمعنى ..

ويقف الشعر حائراً بين هؤلاء وهؤلاء ! ..

*

مكانة القصة

والقصة من متممات اطار الادب ! .. ولقد عرف لها العرب شأنها فأحلها في المحل اللائق ، ولقد عرفها العرب خبراً يروى



وحادثة تسجل ، لذلك اقبل عليها الكتاب ، وكانت لها فورة في الحقبة الاخيرة .

وحسب بعضهم القصة فناً من الفنون السهلة ، والواقع ان القصة تعي الشعر في ابهى صوره والنثر في امتع اتجاهاته ، وهي درس وعمق وابراز خفايا وتحديد مظاهر ، فكانت القصة العربية الحديثة كالطفلة اللقيط . . .

ولولا بعض قصص هنا وفي مصر ، لضاع الامل وتحطم الرجاء ، فهل لنا ان ننبه ونشيد بان القصة ينبغي لها من الاستعداد ما لا ينبغي لسواها ، فهي ليست سرد وقائع ولا نقل حادثة من الخيال الى الورق ، بل هي رياضة للعين والاذن والضمير ، وصورة تصلح الكثير من اخطاء الطبيعة ، ومرحلة ناضجة من مراحل الآداب الكبيرة ! . .

وللتحليل النفسي نصيب في القصة ، وللجغرافية والتاريخ وعلم المنطق والثقافة الرحبة اصابع في القصة الناجحة . . .

فهل نظفر قريباً بقاص واحد . . . او بقصة واحدة ؟ . .

المرأة في الادب

كانت مي يرحمها الله آية النساء على الرجال في الادب والفكر وبلغ انتاجها المنزلة الرفيعة واعتمدت من اجل ذلك ثقافة عميقة وفطرة حساسة ، وبديهة حاضرة ، واليوم ، وفي العالم العربي ، اديبات كثيرات ، لا يزال الفراغ الذي تركته مي فراغاً ابداً . . .

وهذا نقص بين ، لان من دلائل الحيوية في حياة ادب امة صوتاً نسائياً يعلو من اجل الحق والخير والجمال ! . .

ولمي يرحمها الله ان تزدهي وهي وراء الغيب بجهدها البارع واثرها العظيم ، فلقد سبقت الاقلام ، واحتلت مكان الصدارة .

فهل تقفز احدى اديباتنا قريباً الى الفراغ الذي تركته مي ؟ .

مجامعنا العلمية

نحن نملك لغة تعتمد السماع ! . . من هنا تبدأ المشكلة ! . . وفي وسعنا ان نؤكد ان تبسيط قواعد اللغة والصرف والنحو اضحى ضرورياً . . وان ايجاد معجم موحد اصبح لا بد منه . . وان تيسير الكتابة باللغة العربية امسى واجباً لازماً .

ومع ذلك نملك مجمعين ! . . المجمع الملكي العربي في مصر ، والمجمع العلمي العربي في دمشق ! .

ماذا عمل المجمعان ! .

سؤال لا اود الاجابة عليه ، بعد ان عرف القاصي والداني حكاية « الشاطر والمشطور وما بينهما الكامخ » وحكاية « ظظر » و « ارزيز » و « دويدات » الخ .

ان قافلة الانسانية اصبحت في عصر الذرة . . ونحن ما نزال في عصر السلحفاة ! .

ماذا عمل المجمعان ؟ . .

الاقتباس والترجمة

انا لا اؤمن بالاقتباس ! . . فهو عندي جريمة لا تغتفر ، بل عدوان على ممتلكات الغير وتشويهها تشويهاً يقتل الجوهر ويبقي في بعض الاحايين على العرض ! . . ولقد اصبح الاقتباس زياً شائعاً لمحاولات نقل صور عن الاداب الاجنبية الى العربية ! . .

وعندي ان الترجمة هي السبيل الحق ، فلنترجم كل ما هو جدير بالترجمة من آثار الغرب ترجمة امينة صادقة ، لا تفقد الصنيع الفني جماله ومميزاته . . اما الاقتباس فهو عدو لدود لكل صنيع ادبي وعندي اقتراح ، وهو ان تهتم الحكومات العربية بالتعاون في ما بينها لترجمة جميع طرائف الغرب دفعة واحدة ! .

ويومئذ نحمد الترجمة ونقضي على الاقتباس ! .

المؤلفات المرتجلة

جرى بعض ادباء الغرب على جمع مقالات متفرقة في كتب يصدرونها بين حين وحين ! .

فاراد بعض كبار كتابنا السير في هذا السبيل ، وكانت النتيجة اخراج كتب مرتجلة لا يجمع شملها موضوع او اتجاه .

وفاتهم ان ادباء الغرب الذين ساروا على هذه الطريقة انما يكتبون مقالاتهم بعد جهد لانهم يعرفون ان مصيرها الى كتاب واحد ! .

لذلك غمرت السوق عشرات الكتب من المقالات التي تختلف ولا تأتلف . . . هذه مؤلفات مرتجلة ! . ليس للجهد فيها نصيب ، انتقلت بفضل الناشر من صحيفة يومية الى كتاب ضخم ! .

وعندي ان من الاثم الكبير في حق رسالة الاديب الاستهانة بالقارىء الى هذا الحد . . .

لقد وثق بنا القارىء . . . فلنكن عند حسن ثقته ! . .

فهل يسمع ادباؤنا الكبار ؟

صلاح الاسير



١ آذار ١٩٤٦ – اذاع راديو موسكو ان القوات السوفياتية لن تنسحب من ايران في ٢ آذار، وهو الموعد الذي تقرر في الميثاق الذي ابرم عام ١٩٤٢ لانسحاب جميع القوات العسكرية عن ايران .

٢ – مضى ستة عشر يوماً على اضراب حوانيت كلكتا .

بدأت لجنة التحقيق البريطانية الاميركية بشأن فلسطين جلساتها في مصر، فتكلم نخبة من رجالات البلاد العربية في مقدمتهم الاستاذ عبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية، مظهراً باسم الجامعة وجهة نظر العرب في قضية فلسطين .

٤ – اضربت مصر حداداً على شهدائها الذين سقطوا في مظاهرات الجلاء في الاسبوع الماضي، وشاركت اكثر البلاد العربية مصر في هذا الاضراب . وقد وقعت بعض الاصابات في اضطرابات الاسكندرية .

استقال المارشال مانرهايم رئيس جمهورية فنلندا من منصبه ويتوقع ان يخلفه باسكيفي رئيس الوزارة الحالي .

٥ – اذاعت حكومات واشنطن ولندن وباريس انها قد تبادلت الاراء حول الحكومة الاسبانية الحاضرة وعلاقاتها بها وهي متفقة على انه ما دام الجنرال فرنكو يواصل السيطرة على اسبانيا فلا يستطيع الشعب الاسباني ان يعتمد على معاونة كاملة وودية من الامم التي يجودها العام هزمت نظام الالمان والطليان وهو النظام الذي قامت عليه الحكومة الاسبانية . والحكومات الثلاث تأمل ان لا يتعرض الشعب لويلات حرب اهلية وان يجد زعماؤه الاحرار مايحمل فرنكو على الانسحاب بسلام .

٧ – بدأت لجنة التحقيق بشأن فلسطين عملها في القدس فاستمعت الى شهادات ادلى بها فريق من العرب واليهود .

٨ – ألف وفد المفاوضات التي ستجري بين الحكومتين المصرية والبريطانية من : اسماعيل صدقي باشا للرئاسة ولطفي السيد باشا (عن الحكومة) ومحمود فهمي النقراشي باشا وابراهيم عبد الهادي باشا (عن الهيئة السعدية) ومكرم عبيد باشا وطه السباعي باشا (عن الكتلة الوفدية) والدكتور محمد حسين هيكل باشا ودسوقي اباظه باشا (عن الاحرار الدستوريين) وكل من علي ماهر باشا وحسين سري باشا وعبد الفتاح يحيى باشا والدكتور حافظ عفيفي باشا وعلي الشمسي باشا (من المستقلين) . وستبدأ المفاوضات بين الدولتين قريباً في القاهرة .

١٢ – اعلنت وزارة خارجية الولايات المتحدة انها تلقت انباء بان القوات السوفياتية المسلحة تزحف من جنوبي الحدود السوفياتية في اتجاه طهران وحدود ايران الغربية وترافقها اعتدة حربية .

١٤ – وصف المارشال ستالين بان خطاب المستر تشرشل الذي القاه في الولايات المتحدة يعتبر بادرة خطرة من شأنها خلق سوء التفاهم بين الحلفاء، وتعزيز المصاعب في علاقاتهم بعضهم ببعض .

١٦ – اصبح الجو الدولي مضطرباً بين اميركا وانكلترة من جهة وبين روسيا من جهة اخرى ويسود العالم فكرة ان شرارة واحدة تكفي لاشعال نار الحرب الثالثة .

القى المستر تشرشل خطاباً ثانياً في الحفلة التي اقامتها له بلدية نيويورك وناشد فيه روسيا بان تقلع عن سياسة العنف، ودعا الى وجوب ازالة سوء التفاهم .

انتهت المفاوضات بين الامير عبدالله امير شرقي الاردن والحكومة البريطانية وستوقع قريباً المعاهدة الجديدة التي يعترف لشرقي الاردن بموجبها بالاستقلال التام .

١٧ – قدم المارشال ستالين استقالته من رئاسة الحكومة السوفياتية ثم اعيد انتخابه ثانية بالاجماع .

١٨ – توزع اعضاء لجنة التحقيق بشأن فلسطين على عواصم البلاد العربية فذهبت وفود منها الى بغداد ودمشق وبيروت والرياض حيث قدمت حكومة كل بلد مذكرات وشهادات في قضية فلسطين .

١٩ – طلبت الحكومة الايرانية من سفيرها في واشنطن بان يثير امام مجلس الامن التابع لمنظمة الامم المتحدة مسألة بقاء القوات السوفياتية في شمالي ايران، بعد ان انتهى الموعد المحدد لبقائها في ٢ اذار ١٩٤٦ .

٢٠ – طلب الرئيس السوفياتي الاعلى كالينين من مجلس السوفيات الاعلى اعفاءه من منصبه بسبب ضعف صحته، فوافق المجلس على طلب الرئيس واختار نائبه الرفيق نيقولاوي شفرنيك خلفاً اصيلاً له .

هاجم القوادالاكراد حاميات ايرانية مرابطة على مقربة من الحدود الايرانية العراقية، فارسلت نجدات من قوى الجيش الايراني لاخماد هذه الثورة .

٢١ – طلبت روسيا تأجيل اجتماع مجلس الامن ستة عشر يوماً، فما كان من المندوب الاميركي في المجلس المستر ستاتينيوس الا ان طلب باسم حكومته ان يضع مجلس الامن الشكوى الايرانية في رأس جدول الاعمال للبحث فيها سريعاً .

٢٢ – اصبحت شرقي الاردن دولة مستقلة اذ وقع الامير عبدالله والمستر بيفن على المعاهدة البريطانية الاردنية الجديدة . وهكذا انتهى الانتداب عن شرقي الاردن .

تم الاتفاق بين الحكومة الفرنسية والوفد اللبناني الموجود في باريس على جلاء الجيوش الفرنسية من لبنان . وينص الاتفاق على ان القسم الاكبر من الجيوش الفرنسية سيجلو قبل نهاية شهر حزيران ١٩٤٦ . والباقي قبل نهاية آب ١٩٤٦ . وستشرف لجنة عسكرية فرنسية لبنانية على اعمال الجلاء، وبفضل المساعدة التي تقدمها سلطات لبنان يتسنى الاسراع في الاجلاء قبل هذه المدة المقررة .

رفضت حكومة ايران تأجيل بحث قضيتها في مجلس الامن .

٢٤ – تحدث المرشال ستالين الى صحفي فقال انه يعلق اهمية كبرى على منظمة الامم المتحدة كأداة هامة لحفظ السلام والامن الدوليين، وانه مقتنع بأن الدول لا ترغب في حرب جديدة وانما تريد السلام وحسب .

٢٥ – اذاع راديو موسكو ان جلاء الروس عن ايران يتم في خمسة او ستة اسابيع اذا لم يقع شيء غير منتظر . وقد بدأ الجلاء منذ اليوم عن مناطق متعددة من ايران .

افتتحت جامعة الدول العربية دورتها الثالثة برئاسة وزير خارجية شرقي الاردن . وقد حضر الاجتماع رؤساء وزارات مصر والعراق ولبنان ووزراء خارجية سائر الدول العربية .